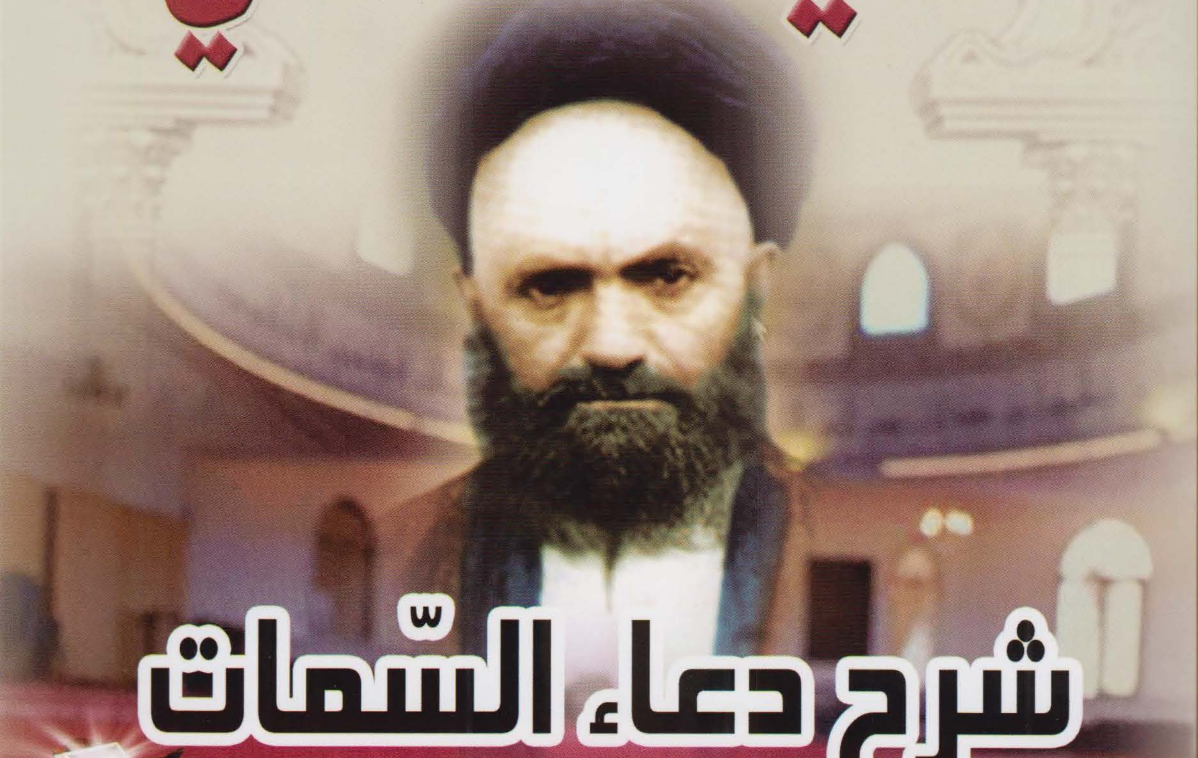
رسالة

السيد القاضي



شرح دعاء السّمات

مؤسسة العروة الوثقى

رسالة السيّد القاضي

في شرح دعاء السّمات

رسالة السيّد القاضي

في شرح دعاء السّمات

ويليه

نبذة من حياته الشَّريفة

مؤسسة العروة الوثقى

الطبعة الاولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

مؤسسة العروة الوثقى

الرويس -المعمورة ، شارع خديجة همدر

هاتف : ٠٠٩٦١٣٦٠٦٨٢٩ سجل تجاري :٤٩٣٨٤

E-mail:aamkob.96@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كثيرة هي الكتب التي تحدّثت عن حياة السيد القاضي وأفاضت في الكلام عنه إلّا أنّ أحداً لم يتكلم عن مؤلفات السيد وإن كانت قليلة بل ونادرة جداً، ومن خلال البحث وجدنا أن السيد لم يكتب إلّا بعض الرسائل التي وجهها إلى تلامذته في العرفان ومنها رسالته في «شرح دعاء السمات» وهي رسالة صغيرة وقد سميت بالرسالة اليتيمة، طبعت في إيران ضمن كتيّب مسمى بثلاث رسائل لعدة مؤلفين.

ولقد ارتأينا نظراً لأهميتها أن ننفرد بها بعد زيادة يسيرة عليها بشرح مفردات الدعاء وشيء يسير عن حياة السيد دون الخوض والتوسيع في حياته.

آملين أن يكون عملنا هذا قربة إلى الله تعالى.

الناشر

دُعاءُ السِّمات

المعروف بدُعاء الشّبور[١]، ويُستحبّ الدّعاء بِه في آخر ساعة مِنْ نَهار الجُمعة وَلا يخفى انّه من الأدعية المشهورة وقد واظب عليه اكثر العلماء السّلف وهو مَرويّ في مصباحِ الشّيخ الطّوسي، وفي جمال الأسبوع للسيّد ابن طاووس وكتب الكفعمي باسناد مُعتبرة عن مُحمّد بن عثمان العُمري رضوان الله عليه وهُو من نوّاب الحجّة الغائب عليه السلام وقد رُوِي الدعاء أيضاً عن الباقِر والصّادق عليهما السلام وَرواه المجلسي رحمه الله، في البحار فشرحه، وهذا هو الدّعاء على رواية المِصباح للّشيخ:

اَللّـهُمَّ إِنّى أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ العَظيمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ[٢] الأَكْرَمِ الَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الأَرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى العُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ البَأْساءِ وَالضَّرّاءِ[٣] انْكَشَفَتْ، وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الكَريمِ أَكْرَمِ الوُجُوهِ وَأَعَزِّ الوُجُوهِ الَّذي عَنَتْ[٤] لَهُ الوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ[٥] وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْواتُ[٦]، وَوَجِلَتْ[٧] لَهُ القُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِكَ، وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ[٨] لَهَا العالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا العَجائِبَ وَخَلَقْتَ

---

(١) الشبور: أي دعاء العطاء.

(٢) الأعز الأجل: أسماء تفضيل بمعنى الأكثر عزة والأكثر جلالة.

(٣) البأساء والضّراء: الشدّة والضرر.

(٤) عنت: خضعت وذلّت.

(٥) خضعت له الرّقاب: طأطأت وانحنت خشوعاً.

(٦) خشعت له الأصوات: سكتت وانخفضت خشوعاً.

(٧) ووجلت: خاقت وفزعت.

(٨) دان: انقاد.

بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً وَجعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً[1] وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا القَمَرَ وَجَعَلْتَ القَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوماً[2]، وَجَعَلْتَ لَهَا مَشارِقَ وَمَغارِبَ وَجَعَلْتَ لَهَا مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكاً وَمَسابِحَ وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها، وَأَحْصَيْتَها بِأَسْمائِكَ إِحْصاءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً، فأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها وَسَخَّرْتَها بِسُلْطانِ اللَّيْلِ وَسُلْطانِ النَّهارِ وَالسّاعاتِ وَعَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسابِ، وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَها لِجَميعِ النّاسِ مَرْأىً واحِداً، وَأَسْأَلُكَ اللّهُمَّ بِمَجْدِكَ[3] الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي المُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الكَرُّوبينَ[4]، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ[5]، فِي عَمُودِ النّارِ[6]، وَفِي طُورِ سَيْناءَ وَفِي جَبَلِ حُوريثَ، فِي الوادِ المُقَدَّسِ فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ، وَيَوْمَ فَرَقْتَ لِبَنِي إِسْرائيلَ البَحْرَ، وَفِي المُنْبَجِساتِ[7] الَّتي صَنَعْتَ بِهَا العَجائِبَ فِي بَحْرِ سُوفَ[8]، وَعَقَدْتَ ماءَ البَحْرِ فِي قَلْبِ الغَمْرِ[9] كَالحِجارَةِ، وَجاوَزْتَ بِبَنِي إِسْرائيلَ البَحْرَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ

---

(١) سكناً: يسكن فيه كلّ متحرّك.

(٢) رجوماً: الشهب النارية التي يرجم بها.

(٣) بمجدك: بشرفك وعزتك وسلطانك.

(٤) الكروبيّين: هم أقرب الملأ إلى حملة العرش.

(٥) تابوت الشهادة: الصندوق.

(٦) عمود النار: الذي ظهر لموسى عليه السلام.

(٧) المنبجسات: اسم مفعول من انبجس: أي انشقّ وانفجر.

(٨) بحر سوف: اسم البحر الذي حصل فيها الانشقاق.

(٩) قلب الغمر: ربطت الماء ومنعتها من أن تغمر الممر.

مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمِينَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ في اليَمِّ، وبِاسْمِكَ العَظيمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلإِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خَليلِكَ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الخَيْفِ[1]، وَلإِسْحقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيعٍ وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيل[2]، وَأَوْفَيْتَ لإِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلإِسْحقَ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بِشَهادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ، وَلِلدّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمّانِ[3]، وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ العِزَّةِ وَالغَلَبَةِ، بِآياتٍ عَزيزَةٍ وَبِسُلْطانِ القُوَّةِ وَبِعِزَّةِ القُدْرَةِ وَبِشَأْنِ الكَلِمَةِ التّامَّةِ، وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَأَهْلِ الآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ[4] بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى العالَمِينَ، وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ[5] مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ، وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّها[6] الأَرْضُ وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ وَانْزَجَرَ لَهَا العُمْقُ الأَكْبَرُ[7]، وَرَكَدَتْ لَهَا البِحارُ وَالأَنْهارُ، وَخَضَعَتْ لَهَا الجِبالُ وَسَكَنَتْ لَهَا الأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الخَلائِقُ كُلُّها، وَخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانِها، وَخَمَدَتْ لَهَا النّيرانُ في أَوْطانِها، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ[8]، وَحُمِدْتَ بِهِ في السَّماواتِ وَالأَرَضِينَ، وَبِكَلِمَتِكَ

---

(١) مسجد الخيف: وهو مسجد في منى.

(٢) إيل: كلمة عبرية تعني الرّب.

(٣) قبلة الرّمان: المكان الذي ناجى موسى عليه السلام فيه ربه.

(٤) مننت: تفضّلت وتكرّمت.

(٥) خرَّ: سقط وتدكدك وذلك حين سأله موسى عليه السلام بقوله: «ربِّ أرني أنظر إليك».

(٦) تستقلها: أي لم تستطع أنتحملها وتقلّها.

(٧) العمق الأكبر: أي ارتدع لها عمق الأعماق.

(٨) دهر الدهور: أي في كلّ الدهور والأزمان.

كَلِمَةِ الصِّدْقِ الَّتي سَبَقَتْ لأَبينا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَذُرِّيَّتِهِ بِالرَّحْمَةِ وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً[1]، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى ابْنَ عِمْرانَ، وَبِطَلْعَتِكَ في ساعيرَ[2] وَظُهُورِكَ في جَبَلِ فارانَ[3]، بِرَبَواتِ الْمُقَدَّسينَ[4] وَجُنُودِ الْمَلائِكَةِ الصّافّينَ وَخُشُوعِ الْمَلائِكَةِ الْمُسَبِّحينَ، وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لإِسْحقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِما السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إِسْرائيلِكَ في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِما السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ[5] وَذُرِّيَّتِهِ وَاُمَّتِهِ، اَللّـهُمَّ وَكَما غِبْنا عَنْ ذلِكَ وَلَمْ نَشْهَدْهُ وَآمَنّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ صِدْقاً وَعَدْلاً أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَنْ تُبارِكَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَتَرَحَّمَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى إِبْراهيمَ وَآلِ إِبْراهيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ فَعّالٌ لِما تُريدُ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْء قَديرٌ.

ثمَّ تذكر حاجتك وَتقول:

اَللّـهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ، وَبِحَقِّ هذِهِ الأَسْماءِ الَّتي لا يَعْلَمُ تَفْسيرَها وَلا يَعْلَمُ باطِنَها غَيْرُكَ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَافْعَلْ بى ما أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلا تَفْعَلْ بى ما أَنَا أَهْلُهُ وَاغْفِرْ لى مِنْ ذُنُوبى ما تَقَدَّمَ مِنْها وَما تَأَخَّرَ، وَوَسِّعْ عَلَيَّ مِنْ حَلالِ رِزْقِكَ وَاكْفِنى مَؤُنَةَ إِنْسانِ سَوْء، وَجارِ سَوْء وَقَرينِ[6]، سَوْء وَسُلْطانِ سَوْء، إِنَّكَ عَلى ما

---

(١) وخرّ موسى صعقاً: أي ظهرت به جلياً: فجعلت الجبل مدمراً ووقع موسى مغشياً عليه.

(٢) ساعير: اسم منطقة في نواحي الجبل.

(٣) جبل فاران: اسم أحد جبال تلك المنطقة.

(٤) ربوات المقدّسين: ربوات جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، والمعنى: تلال العابدين.

(٥) عترته: أهل بيته الأطهار المعصومين عليهم السلام.

(٦) قرين: القرين هو الرفقيق وكل ما يلازم المرء.

تَشاءُ قَديرٌ وَبِكُلِّ شَيْء عَليمٌ آمينَ رَبَّ العالَمينَ.

أقول في بعض النسخ بعد: وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْء قَديرٌ ثمّ اذكر حاجتك وَقُلْ:

يا اللهُ يا حَنّانُ يا مَنّانُ(١) يا بَديعَ(٢) السَّماواتِ وَالأرضِ، يا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرامِ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ اَللّهُمَّ بِحَقِّ هَذا الدُّعاءِ.

إلى آخر الدّعاء، وروى المجلسي(٣) عن مِصباحِ السيّد ابن باقي انه قال: قل بعد دعاء السماتِ:

اَللّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ وَبِحَقِّ هذِهِ الأَسْماءِ الَّتي لا يَعْلَمُ تَفْسيرَها وَلا تَأْويلَها(٤) وَلا باطِنَها وَلا ظاهِرَها غَيْرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَنْ تَرْزُقَنى خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

ثُمّ اطْلُب حاجتك وَقُل:

وَافْعَلْ بي ما أَنْتَ أَهْلُهُ وَلا تَفْعَلْ بي ما أَنَا أَهْلُهُ، وَانْتَقِمْ لي مِنْ فُلانِ بْنِ فُلان وسمّ عَدوّك وَاغْفِرْ لي مِنْ ذُنُوبي ما تَقَدَّمَ مِنْها وَما تَأَخَّرَ، وَلِوالِدَيَّ وَلِجَميعِ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ، وَوَسِّعْ عَلَيَّ مِنْ حَلالِ رِزْقِكَ وَاكْفِني مَؤُنَةَ إِنْسانِ سَوْء وَجارِ سَوْء وَسُلْطانِ سَوْء وَقَرينِ سَوْء وَيَوْمِ سَوْء وَساعَةِ سَوْء، وَانْتَقِمْ لي مِمَّنْ يَكيدُني(٥)، وَمِمَّنْ يَبْغي عَلَيَّ(٦)، وَيُريدُ بي وَبِأَهْلي وَأَوْلادي وَإِخْواني وَجيراني وَقَراباتي مِنَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ ظُلْماً إِنَّكَ عَلى ما تَشاءُ قَديرٌ وَبِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ آمينَ رَبَّ العالَمينَ.

---

(١) حنّان منّان: صيغة فعال تدل على الكثرة أي كثير الحنان والعطف والمن والإحسان.

(٢) بديع: أي خالق ومبتدع السماوات والأرض.

(٣) المجلسي: محمد باقر، صاحب كتاب بحار الأنوار.

(٤) تأويلها: المعنى الباطني.

(٥) يكيدني: أي يخطط ويدبّر لي الشرّ.

(٦) يبغي عليّ: أي يجور ويعتدي عليّ.

ثمّ قل:

اَللّـهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ تَفَضَّلْ عَلى فُقَراءِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بـالغِنى وَالثَّـرْوَةِ، وَعَلى مَرْضَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصِّحَةِ، وَعَلى أَحْياءِ الْمُـؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِنـاتِ بِاللُّطْفِ وَالكَرامَةِ، وَعَلى أَمْواتِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلى مُسافِرِي الـمؤْمنينَ وَالـمؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إلى أَوْطانِهِمْ سالِمينَ غانِمينَ[١] بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّد خاتَمِ النَّبِيّينَ وَعِتْرَتِهِ الطّاهِرينَ وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً.

وَقال الشّيخ ابن فهد: يستحبّ أن تقول بعد دعاء السّمات:

اَللّـهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ[٢] هذَا الدُّعاءِ وَبِما فاتَ مِنْهُ مِنَ الأَسْـماءِ وَبِـما يَـشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ التَّفْسيرِ وَالتَّدْبيرِ الَّذي لايُحيطُ بِهِ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَفْعَلَ بي كَذا وَكَذا.

وتذكُر حاجتك عوض كَذا وَكَذا.

---

(١) غانمين: رابحين.

(٢) بحرمة هذا الدعاء: أي بما له من مكانة واحترام عندك.

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين تجلّيت لعبادك في كلّ شيء ولكن أكثرهم لا يبصرون وناديتهم بلسان كلّ شيء ولكن أكثرهم لا يسمعون، وأنطقت بتسبيحك كل شيء وإن كانوا لا يفقهون، وأشهد لك بما شهدت به لنفسك والملائكة وأولو العلم من خلقك قائماً بالقسط لا إله إلّا أنت العزيز الحكيم وأشهد أنّ محمداً عبدك ورسولك أرسلته بالدين القويم والصراط المستقيم تبياناً لبيانك وعلماً لبرهانك (صلّى الله عليه وعلى وصيّه علي أمير المؤمنين وعلى أبنائهما الأئمة المرضيّين الهداة العالمين وعلى الخلف الصالح والميزان الراجح والولي الناصح المنتظر لإحياء الدين وفرج المؤمنين ـ وذلك إذا استدار الفلك وهلك من هلك وسلك في سبيل الهدى من سلك ـ سمّي نبيك ووصيه وكنيته، صاحب الراية العظمى والولاية الكبرى، ختمت به الولاية كما ختمت بجدّه صلوات الله عليه وآله النبوة. اللهمّ ربنا صلّ على نبيّك وعلى آله وأصحابهم السالكين على منوالهم والتابعين حذو آثارهم واجعلنا منهم، رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك الفوز المبين والحمد لله ربّ العالمين.

وبعد:

فإنّ الدعاء العظيم الشأن الرفيع المكان هو عين الحياة الموسوم فيه آيات بيّنات وفيه مقام إبراهيم وفيه اسم الله الأعظم وتاج آدم وخاتم سليمان وحجاب آصف وعرش بلقيس وما رفع به إلى المكان الأعلى إدريس وهو دعاء الشّبور قرى في القرون حتى لا يسترق السمع له الجاهلون ولا يعرف ألفاظه الغافلون وهو الدعاء

الذي لا يعلم تأويله إلا الله جلّ جلاله ولم نجد في الأدعية الشريفة مثل هذا التعظيم والتوقير الذي ورد لهذا الدعاء الكبير، فإن وجد فهو أيضاً في العظمة كمثله ولم نجد له إلى الآن شرحاً مبيّناً لبيّناته ولا متعرضاً لنفحاته، والحقير الكثير الإضاعة واليسير البضاعة أسأل الله العظيم أن يوفّقني على إيراد شرح له يبيّن مبانيه ويشير إلى بعض مطاويه ومعانيه مع الإعتراف بأن لا يحيط تفسيره وتأويله إلا الله جلّ جلاله أو من أحاطه بعلمه، وإليه سبحانه أتضرع وأتبتّل أن يحفظنا من الزيغ والزلل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

العبد الفقير

السيّد علي القاضي

الفصل الأول

شرح دعاء السّمات

«بسم الله الرحمن الرحيم»

تفسير هذه الآية الشريفة وتأويلها مع آداب الدعاء موكول إلى كتب التفسير والتأويل والأدعية وإنما نورد روايات تبركاً بها.

فروي عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام أنّ رسول الله ﷺ حدّثني عن الله عزّ وجل أنه قال: «كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر»[1].

وعن الكافي والتوحيد والمعاني والعياشي عن الصادق عليه السلام: «الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله»[2]، وفي رواية (ملك الله)[3] والله إله كلّ شيء، الرحمن بجميع خلقه، الرحيم بالمؤمنين خاصّة، وفي الكافي: «لا تدعها ولو كان بعده شعر»[4].

أقول: ما علمنا هل كتبت هذه الآية هنا تبركاً وتيمناً أو هي جزء من الدعاء، فإنّ هذه الآية كانت في الكتب المتقدّمة كما وردت بها الرواية، ثم إنها آية وجزء من كل سورة كتب في الجامع العزيز إلّا سورة سليمان عليه السلام ففيها جزءٌ من الآية وهي

---

(١) الحبل المتين، ص٣٣، للشيخ البهائي، الحدائق الناضرة، ج٣، ص١١٢.

(٢) إعانة الطالبين، ج١، ص١١، للبكري الدمياطي، والكافي، ج١، ص١١٤، للكليني، وتوحيد الصدوق، ص٢٣٠.

(٣) كما في المحاسن للبرقي، ج١، ص٢٣٨.

(٤) تفسير الصافي، ج١، ص٨٣، للفيض الكاشاني.

ثمانية عشر حرفاً وكلها نورانية إلّا حرفُ واحد، وهي مسمى باء والمراد من النورانية هي الحروف التي وقعت التخاطب بمسمياتها مقطعة في أوائل بعض السور وتخرج من إسقاط المكرر منها:

«عليّ صراطُ حقّ نمسكه»

وهذه الواحدة مسماة باء أيضاً فيه ألف وهي أيضاً من النورانية، فباطن الباء أيضاً نوراني لغلبة الألف عليها وتأثيره فيها، لأنّ الألف مذكر والباء مؤنث لا بدّ من تأثير الألف في الباء تأثير الذكر في الأنثى. فتبيّن أنّ هذه الآية من غلبة الرحمة والروحانية ما ليس في غيرها. فإن قيل من أين علمنا أنّ الهمزة غائبة في (بسم) قلنا إنّ الكتاب الكريم كما أنّ ظاهره علم وباطنه حكم فللكتابة أيضاً فيها علوم. فإن رسم الخط في كلمة (بسم) أن يكتب (باسم) إلّا في هذه الآية الشريفة وإن شئت فانظر سورة العلق. ثم إنها من العبد بمنزلة كن من الحق سبحانه إذا كان مخلصاً وقال بعض المحققين:

«من لم يفتح له بسم الله الرحمن الرحيم لا يفتح بغيرها».

ولهذه الآية الشريفة أسرار ليس هذا موضع ذكرها وإنما ذكر ذلك طلباً للإستعداد فيما يأتي من الرموز. فتفرّغ بقلبك لعلك تؤتى مفاتح الكنوز وتفوز وإلّا فتضرع إلى ربّك باستكمال لبّك فإنه ما يتذكر إلّا أولو الألباب[1].

يقال: (اللهم) أصله (يا الله) وأنت خبير بأن (يا) نداءٌ للبعيد بخلاف (اللهم).

«إني أسألك باسمك الطّاهر».

---

(١) اتفقت لي رؤيا لا بأس بذكرها في هذا المقام: «إني رأيت نبي الله زكريا يقول لإابنه يحيى عليهما السلام زرعت هذه الحنطة أو الشعير حتى أثمرت كل حبة ألف حبة، فأجابه زرعتها بكلمة بسم الله الرحمن الرحيم لكن ما قلتها كما يقولها الناس ولكن بذاتيتي قلتها فأثمرت ألف حبة.

إنّ هذه الباء وأشباهها في هذا الدعاء وغيره للقسم وقيل أنها للملابسة ولعله لبعض في بعض الأحوال، فتبصّر!

«العظيم الأعظم الأعظم الأعظم»

الظاهر من هذا التكرار هو التأكيد في العظمة كما هو في جميع اللّغات عند الناس، فيحتمل أنّ التكرار لعظمة تظهر للسلّاك إلى الله جلّ جلاله، فأوّل ما تظهر لهم من العظمة عظمة توحيد الأفعال ثم عظمة توحيد الصفات ثم عظمة توحيد الذات.

«المغالق» جمع «مغلّقة» بالتشديد شدّد للمبالغة لا أنها جمع «مغلِقة» كما ذكره بعضهم وهي إضافة صفة إلى موصوفها، فإن قلت: هلّا جعلتها جمعاً من «مغلوق»؟ قلتُ: «الغلق» لغة رديئة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ... ولا أقول لباب الدار مغلوق

وإنما أعرضنا عن الغلق والإغلاق اتباعاً لما ورد في الكتاب العظيم، قال سبحانه: ﴿**وَغَلَّقَتْ الأَبْوابَ**﴾[1].

وكذا ينبغي أن يكون المتأدبون بالآداب الشرعية في جميع أفعالهم وأقوالهم.

لـمّا أراد رسول الله ﷺ أن يطوف بالصفا والمروة وقف على الصفا وقال: «**أبدأ ما بدأ الله به**». وقال رجل للصادق عليه السلام إنّ أبا الحسن الزراد أتانا منك برواية فقال عليه السلام:

«إذاً لا يكذب علينا ولكن لا تقل زرّاد وقل السرّاد فإنّ الله سبحانه يقول:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[1].

وحكي أنّ رجلاً من المسلمين خرج من بيته وهو ناوٍ للسفر متردد بين البرّ والبحر من أيّهما يسافر. فقال في نفسه: أشاور أول من لقيته وبالاتفاق ما لقي إلّا رجلاً من أهل الكتاب، فقال: يا أخا اليهود! إني مريد سفراً من البر أسافر أم من البحر؟ فقال له: أوَلست مسلماً؟ فإن في كتابكم: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ﴾[2] وما دام سفر البر ممكناً فلا تدخل في البحر.

فانظر ـ وفّقك الله بتعليم الحق سبحانه عباده ـ أياً ما كان.

فإن قيل: ما أبواب السماء ولم غلقت علينا وما مفاتحها ومن الفاتح، قلنا: فاعلم أوّلاً أنّ أناساً زعموا أن ليس فوقنا سموات وإنما هو جو بلا نهاية يدّعون ذلك باستكشاف الآلات الجديدة وهذا القول لا سبيل للمسلمين إليه بعد ورود إثبات السموات في كتابنا الكريم وغيره من الكتب السماوية وقد شهدها أهل الكشف والشهود وغيرهم من هذه الأمة[3]. ومن الممكن أن تكون السموات أجساماً شفافة كالزجاجة بعضها فوق بعض بحيث لا يفرق بينها، ثم أنّ السماء في اللّسان العربي كل ما يعلوك، وأبواب السماوات كالسموات حسية ومعنوية. فأما أبواب السموات الحسية كثيرة كالشمس والقمر والنجوم والسحاب. قال الله سبحانه ﴿فَفَتَحنا أَبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[4]، بل كل السموات أبواب يتنزل الأمر الإلهي منها على خلقه، قال سبحانه ﴿وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَت أبواباً﴾ وأمّا السموات المعنوية، فهي أيضاً كثيرة وأكبرها وأعظمها قلوب أولياء الحق المخلصين يتنزل الأمر إلى قلوبهم

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٣) وقالوا إنّ السموات عنصر خامس ولا سبيل لأهل الأرض إلى معرفته.

(٤) سورة القمر، الآية: ١١.

وينتشر منها إلى العالم، وكما أنّ النجوم والشمس والقمر تشرق على أهل الدنيا المحبوسين في سجون الحس، فكذلك قلوب المخلصين والمختصين تشرق لأهل السموات المعنوية.

وأما تغليق الأبواب بالمصالح كثيرة ولا يحيط بعلمها إلّا الله سبحانه. والذي يهمّنا منها ذكره كثرة الذنوب والغفلات المتراكمة علينا. قال الله سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ**﴾[1].

وأمّا الفاتح فهو خاتم النبيّين ﷺ بإذن رب العالمين، فتح الله به أبواب الخيرات من إفاضة الوجود وما يتبعها من وجوده المبارك. فهو الفاتح لما انغلق وأسبق من سبق. قال ﷺ لجابر بن عبد الله (رض): «**أوّل ما خلق الله نور نبيّك يا جابر**»[2]، وقال: «**نحن الأوّلون السابقون**»[3].

وشواهد هذا المعنى في الآيات والأخبار كثيرة وسيأتي بيان لذلك إن شاء الله.

وأمّا المفاتيح فهي كلّ ما يتوسل به إلى فتح الأبواب وأعظمها الأئمة الأطهار من أهل بيته. ثم أولوا العزم من الرّسل، ثم الكتب السماوية والأسماء الإلهية وأشباهها.

فإن قيل: ما وجه الاختصاص لأبواب السماء بالفتح ولأبواب الأرض بالفرج؟

قلنا: إنّ أبواب السماء قريبة من الفتح لغلبة الرحمة في الأمور العلوية، بخلاف أبواب الأرض فإنها مضيقة بشدة وربما يأتي الفتح والمرء ليس في حال الشدة بخلاف

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) البحار للمجلسي، ج٥٤، ص١٧٠، وسنن النبي للعلامة الطباطبائي، ص٤٠٠، وكشف الخفاء للعجلوني، ج١، ص٢٦٥.

(٣) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الشيعي، ص١٦٨، وسنن البيهقي، ج٣، ص١٧١.

الفرج فإنه لا يكون إلا عن شدّة، فكان الفتح للسموات أولى والفرج للأرض أنسب.

ثمّ إن الموعود في النسخ في الجملة اللاحقة كلمة «تيسّرت» بالتأنيث وهو الأصحّ وإن كان المسند إليه مذكراً، لأنّ من الفصاحة إذا ترادفت الجمل بوجه من التأنيث أو التذكير أن نوردها على صورة واحدة بنحو من الأضمار كأنه أضمرت قضايا قبل كلمة العسر، مثل قولك في الزيارة الشريفة، «وزلل من استقالك مقالة»[1] يعني أنواع الزلل.

«وأسألك بجلال وجهك الكريم»

قد تكرر ذكر الوجه الكريم في الكتاب العظيم وفي الأدعية الشريفة، فمن الجدير أن يشار إلى شيء من معانيه، فاعلم أن (الوجه) في اللغة العربية ما يواجه به وقد يكون الشيء كله وجهاً لاستواء تام فيه، ووجه الله سبحانه هو ما توجه به إلى خلقه وأوّل ما توجه إليه ثم توجّه به إلى غيره هي الحقيقة المحمدية إذ هو الصادر الأول وإنما وصف بالكرامة والعزة للإشارة إلى الجهتين: جهة الجلال وجهة الجمال؛ لأنّ أوصاف الحق تعالى ينقسم إلى قسمين: جلالية وجمالية، أسماء رغبته وأسماء رهبته، فإنه إذا قيل ذو الجلال وقع في نفس المخاطب رهبة وخشية أردف بالإكرام إشارة إلى الرحمة[2].

«وبقوّتك التي تمسك بها السّماء أن تقع على الأرض»

وفي بعض النسخ «تمسك السماء والمعنى واحد».

---

(١) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص٤٢٣، طبعة الأعلمي، بيروت.

زيارة أمين الله، وقال فيها المجلسي+: «إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة.

(٢) قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَن عَليها فانٍ* وَيبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكرامِ﴾ سورة الرحمن، ٢٦ـ٢٧.

وأما القوة التي يمسك الله سبحانه بها السماوات والأرض أن تزولا هي القوة التي ظهرت في الحقيقة الختمية ووارثيها من الأئمة الأطهار عليهم السلام. فإنّ نور النبوة في الخلق سابق على كلّ شيء والدال على هذا كثير ومنها قوله عليه السلام «**وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض**»[1]، فتنبّه لما ورد منها في الروايات ولا بأس بقراءة تمام الآية إلى «حليماً غفوراً».

«وبمشيّتك التي دان لها العالمون»

أي ذلّ و«العالم» كل ما يعلم به وإنما سوغ جمعه بالواو والنون لما فيه من معنى العلم و«المشيئة» بالهمزة كالخطيئة مصدر قولك شاء يشاء شيئاً ومشية أي أراد، والذي يدلّ عليه الأخبار وصحيح العقل والاعتبار أنّ المراد منه هي الحقيقة المحمودة المحمدية صلى الله عليه وآله وتخليص القول فيه بحيث يسهل تعاطيه أنه لـمّا أراد الله وإنما يعبر بكلمة «لـمّا» المشعرة بالزمان لضيق العبارة وبعد الإشارة، وغلا فلم يكن ثمة مكان ولا زمان وإنما هو تقدم العلة على المعلول، فلما أراد سبحانه خلق العالم خلق نوراً والمراد من النور أيضاً ليس ما يسق إلى الذهن من النور الحسي كالنهار بالنسبة إلى الليل، بل كان أمر وجودي يعبر عنه بالنور والنور الحسي من شؤونه أيضاً كما يأتي بيانه، فلما خلق سبحانه ذلك النور الأنور فقال له أدبر فأدبر ثم قال له: أقبِل فأقبَل، ونظر إليه نظرة رحمة وامتنان وكرامة وإحسان. فذاب لنظرته خضوعاً لعزته حتى لم يبقَ منه شيء وقال سبحانه: [وَعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك، بل آخذ وأعطي وبك أعاقب وأثيب». ثم جعله بحراً زخاراً وأجرى منه جداول وأنهاراً أئمة أطهاراً، ورسلاً أبراراً. فهو صلى الله عليه وآله السابق الأسبق والنور المطلق الذي لا

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج٣، ص٦١٥، وعيون أخبار الرضا، ج١، ص٣٠٨، ومستدرك الوسائل، ج١٠، ص٤٢٣.

يلحق كما قال ﷺ: «**نحن السّابقون الأوّلون**»[1]، فالأئمة والأنبياء كلهم أنهار من طياره وينبئون عن أسراره، فقولك «**أسألك بمشيئتك التي دان لها العاملون**» هي المشيئة الثانية المخلوقة كما ورد في الروايات:

«**خلق الله الأشياء بالمشية والمشية بنفسها**»[2].

فهذه في قوة قولك: «بمحمد ﷺ كما مضى الإشارة إليه في معنى الوجه الكريم وسيأتي تمام البيان إن شاء الله تعالى ذلك.

«وأسألك بكلمتك التي خلقت بها السموات والأرض»

اعلم ـ أيّدك الله بتعليمه ـ أنّ الإنسان إذا وقع من بطن أمّه لا يعلم شيئاً إلّا إحساس الألم والراحة كالجوع والعطش والبرد، ثم بعد ذلك كلما يتقوّى جسده يزداد علمه، فأوّل ما يقع في علمه هو الجسم والجسماني حتى يبلغ عشرة سنين في الغالب ويزداد علمه ويعلم ما لم يكن يعلم قبل ذلك وهكذا يكون حتى يبلغ من العمر أربعين سنة في الأغلب. فعند ذلك يمكن أن يحصل فيه علوم الأجسام وما ليس بجسم ولا جسماني ويعلم إن وفّقه الله أن في العالم أموراً مجردة عن الجسم وأموراً محبوسة فيه، فعلى اللّبيب العاقل والفطن العارف أن يجعل أفكاره في معرفة المجردات الخالية عن المواد والاستعداد ومن شؤون هذه المراتب المتقدمة أن يكون بحيث إذا سمع شيئاً أن يعرف المقصود منه لا مرتبه اللفظي والحسّي، فإذا قيل له وزنت شيئاً كذا يعرف ميزانه، فلكلّ شيء ميزان، فميزان الحنطة والخبز معلوم وميزان الذهب والفضة شيء آخر يسمّى محكاً وميزان الشّعر علم العَروض ولكل شيء ميزان، فإذا كان كذلك فلا تتخيل أن كلمة الله سبحانه وكلامه ككلام

(١) مصدر سابق.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٢١٧.

المخلوقين إنما هو لفظ أو جملة ملفوظة، بل هو شيء مناسب لتلك الحضرة العالية. فالكلمة والكلام فيها ألفاظ نؤديها باللسان واللهوات إظهاراً لما في أنفسنا من الإرادة، وكلمة الحق جلّ جلاله العظيم خلق أبان به إرادته سبحانه وتعالى وأما الكلام فسيجيء له البيان في تكليم الكليم على نبينا وآله عليهم السلام.

وأما الكلمة الأولى فهي الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله إذ لم يكن شيء قبلها، فخلقها ثم خلق بها الأشياء والسموات والارض وغيرها كما ورد عنهم عليهم السلام: «**نحن كلمات الله التامات**» و«**نحن كلمة الله**»[1]، وهو عليه السلام أتمّ كلمات الله وأبهى بهاء وأنور أنواره وأجمل جماله وأشرف شرفه، وأطول قدرته وأكمل كماله إلى غير ذلك ولو كان شيء أحبّ وأعزّ إلى الله سبحانه منه لأقسَم به وبهذا الوجه المذكور تعرف تسمية الله سبحانه عيسى بن مريم عليهما السلام كلمته فكلّ الأنبياء والرّسل بل الخلق كله كلمات الله سبحانه عبّر به عن إرادته.

«**وبحكمتك التي صنعت بها العجائب وخلقت به الظلمة وجعلتها ليلاً**».

الشرح: إعلم أنّ النور والظلمة يقعان في السنّة الشريفة والكتاب الكريم على معنَيين:

الأوّل: يطلق ويراد به نور الوجود والوجودي وفي الظلمات نور الإعدام عن العدم الإضافي.

الثاني: أن يطلق النور ويراد به المحسوس كظلمة الليل ونور النهار، فمن الأول قوله سبحانه: ﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[2].

كأنّه يراد من الظلمات الجهل والإعدام المضافة إلى نور الوجود، ومن الثاني ما

---

(١) غاية المرام، للسيد هاشم البحراني+، ج٤، ص١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

ورد في الدعاء. وهو ضوء النهار وظلمة اللّيل وإنما قدّم الليل على النهار إشارة بأنّ خلق الظلمة قبل النور، وقد تكرّرت في الكتاب الكريم ذكر الليل قبل النهار، لأنّ الإعدام أشرق عليها نور الوجود، وقد اتضح بما سبق ذكره من تقدم الحقيقة المحمدية ﷺ أنّ هذه المذكورات كلها من شؤونه الرفيعة وآثاره البديعة.

«وجعلتَ اللّيل سكناً»

وقد وجد في بعض النسخ «مسكناً» ولا ريب أنّ اتباع الكتاب الكريم في مثل هذه الموارد متعين. قال الله تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً**﴾(١).

يسكنون فيه عن تعب المعايش ويسكن فيه أهل الإختصاص بالعبودية من عباد الله جلّ جلاله العظيم إلى ربهم الكريم، فالليل راحة لأهله من تعب مخالطة الناس ومعاشرتهم كما قال قائلهم:

يا ساهري بالليل إن هجع الورى ومكلمي من بينهم بنهار

وفي هذا الدعاء قدّم الليل على النهار كما ورد كذلك في الكتاب الكريم غير مرة إلّا أنه روي عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام تقدم النهار على الليل فيما سأله ذو الرياستين عن مولانا الرضا عليه السلام: هل الليل متقدم عى النهار أم بالعكس؟ فأجابه الإمام عليه السلام بطريقين: طريقة الحساب، وطريقة الكتاب، واستدلّ بآية: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**﴾(٢).

فالترتيب في هذا الدعاء في تقديم الذكر غير مقصود كما ورد في الآيات.

وجعلتها نجوماً وبروجاً ومصابيح وزينة ورجوماً وجعلت لها مشارق ومغارب وجعلت لها مطالع ومجاري وجعلت لها فلكاً ومسابح وقدرتها في السماء

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٦.

منازل فأحسنت تقديرها وصورتها فأحسنت تصويرها وأحصيتها بأسمائك إحصاء ودبرتها بحكمتك تدبيراً فأحسنت تدبيرها وسخرتها بسلطان الليل وسلطان النهار والساعات وعدد السنين والحساب وجلت رؤيتها لجميع الناس مرءاً واحداً.

إعلم أنّ الشمس والقمر آيتين من آيات الله وكذلك جميع النجوم والكواكب، غير أنّ الشمس لكونها أصل نور كل نيّر وكوكب سلطان جميعها وكل مستنير بنوره ومستضيء بضيائه وهو السلطان ويقال إن أعقل من يعبد الأجسام هم الذين يعبدون الشمس لعظمها وكونها أصل الأنوار، ومنه تنشأ كل نار وبعدها القمر سلطان الليل يقوم مقامها وينير العالم وهما السلطانان في الليل والنهار، وهذا أوجه مما قيل أن السلطان هنا بمعنى المصدر بمعنى سلطة الليل والنهار.

نشرع أنّ الفلك في لسان العرب كل ما يكون يحصل بهيئة الدائرة وعلى هذا يخلق الله سبحانه من مدارات الكواكب ومسابحها أفلاكاً لا يحصيها غيرها ودخلت بعضها في بعض ولها أغنية تذهب العقول لمن سمعها وعلى مجاريها بنيت الأغنية، ويحى أن فيثاغورث الحكيم، ذكر أنه حصل له في التجرد الروحاني والصعود في عالم الناسوت إلى عالم الجبروت والملكوت حالة أسمعت أغنية الكواكب حتى غشي عليه لما أدركته من اللذة وهذا مما لا يستبعده الفهماء. هذا ما يحكى للحكيم في التجرد الروحاني والتجرد الرباني أعلى وأحلى بما لا يقاس كما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله.

«سلطان الليل والنهار»

وفي جمال الأسبوع: «**بسلطان الليل وسلطان النّهار**» بتكرار السلطان يعني قوة الليل والنهار، يعني سخرت الكواكب والنجوم والقمر والشمس بسلطتك عليها. هكذا ذكره بعض شرّاح الدعاء ولا يبعد أن يكون السلطان بمعنى الاسم لا المصدر؛ لأنّ الشمس والقمر كسلطانين يدبران أمر الليل والنهار بإذن ربهما، وهما

الآيتان الكبيرتان لمعرفة كل شيء والتأثير في كلّ شيء. قال الله سبحانه في غير موضع من الكتاب الكريم كونهما آيتين وقال عزّ من قائل:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾(١).

وورد في الرواية أنّ المراد من الآية المحوّة هو القمر، محاه الله سبحانه حتى يتبيّن الليل ويعرف الناس المواقيت وعدد السنين والحساب والله أعلم.

«المرئي الواحد» هو مرئي كل قطر من أهل الأرض ويمكن أن يكون لأهل الأرض جميعاً في مرئي واحد في بعدها.

«بمجدك الذي تجلّيت لعبدك موسى بن عمران»

قال الله تبارك وتعالى: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾**(٢).

إعلم أنّ الكمال التام والفضل العام في معرفة الله سبحانه كما قال سبحانه: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾**(٣) أي ليعرفون.

وطرق المعرفة لا تكاد تحصى كما ورد: **«الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلائق»** أو **«أنفاسها»**(٤).

فمن ذلك البرهان ومن ذلك الذوق والوجدان ومن ذلك إرسال الرسل فيوحي سبحانه لمن يشاء ما يريد ومن ذلك التجلي وهو عبارة عن الانكشاف الحقيقة بمقدار قابلية كل من حصل له التجلي، فإنّ انكشاف التام غير ممكن للممكن

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢..

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) الاقتصاد للشهيد الثاني، ص١٧٤، وشرح إحقاق الحق للسيّد المرعشي، ج١، ص١٨٥.

وإلا لانقلب الممكن واجباً. وذلك محال وأعظم الناس في هذه الخطوة هم الرسل والأنبياء عليهم السلام وخصوصاً أولوا العزم منهم، وكان كليم الله موسى بن عمران، ممن له الخطوة العظيمة فتجلى الحق سبحانه له في نور سمعه، فسمع ما لا يسمعه غيره، فكلّمه الله تكليماً بغير جوارح ولا أدوات، بل بصوت محيط لجميع الجهات خارجاً من الشجرة، فاشتدّ حبّه لربّه، فسأل الرؤية بقوة النّظر والبصر أيضاً فسمع في الجواب ما ورد في الكتاب.

إلى هنا وصل الشرح في شهر شعبان سنة ١٣٦٤هـ، ثلثمائة وأربعة وستين بعد الألف، ثم مرضت مرضاً شديداً خيف عليّ فيه، واليوم هو سلخ شهر محرم الحرام لم أبدأ برءاً شديداً وأنا ناقح، فلله الحمد على أنه يشفيني قليلاً قليلاً. فشرعت شروع مختصر مقتصر في الشرح لعلّ الله سبحانه يتمّ لي الشفاء برحمته.

فأقول: هذه الجملة من الدعاء وهو قوله عليه السلام.

«وأسألك بنور وجهك الذي تجليّت.. إلى آخرها»

الأصل فيها قوله سبحانه:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

أمّا لغات هذه الآية: فالدك مثل الدّق يعني صار كالتراب وقرئ دعاء بالمد وهي قريب منه و«صعق» بمعنى «مات» واستعمل «آفاق» بمعنى «رد الحياة إليه» عليه السلام وأما الرؤية فقد اختلف فيه أقوال المسلمين، فذهب فرقة من العامة العمياء إلى إمكان رؤيته سبحانه واختلقوا في ذلك أدلة من الكتاب والسنة لا حاجة لنا إلى

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ذكرها وأما الفرقة الناجية فمتفقون على عدم إمكان الرؤية بالبصر لصريح الآية:

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(١).

واستفاضة الروايات من أئمتهم عليهم السلام في ذلك مع ما يدلّ عليه صريح الاعتبار، فإنّ الرؤية بالبصر لا بدّ أن يكون في جهة حتى يمتد إليه الشعاع البصري ولكونه في الجهة لا يليق بجلاله وهو منزّه عن ذلك سبحانه.

بقي الكلام أنّ الظاهر من استدعاء الكليم هو النظر الحسي والوجه في ذلك أنه عليه السلام استدعى ذلك باستدعاء قومه كما تجده في الروايات وتحقيق القول في هذا المقام أن الرؤية تطلق على معنيَين:

أحدهما: إدراك البصر كما تقول: رأيت زيداً اليوم في السوق، فإنها رؤية محدودة بالزمان والمكان واقعة بحاسة البصر.

الثانية: الرؤية البصيرة كما قيل:

رأيت العقل عقلَين فمطبوع ومسموع ... ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع

فإنّ الرواية هنا ليس بحاسة البصر، بل إدراك بصائر العقول وهذا القسم نوع من الشهود وعلى هذا صحّ جواز رؤية الله وعدم جوازه، والأصل في ذلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات»(٢).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) توحيد الصديق، ص١٠٨، والاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٥٤، وشرح إحقاق الحق للمرعشي، ج١٢، ص١٦٨.

وقال: «لم أعبد رباً لم أره»[1].

وهنا أمران لا بدّ من الإشارة إليهما: **الأوّل**: ما ورد في الروايات من أنّ التجلي كان نوراً من أنوار الحقيقة المحمدية المحمودة، معدن كل خير وإفادة.

والثاني: ما ذكره بعض أهل العرفان من أنّ الجبل كناية عن الأنية التي دكت بالرؤية كما مضت إليه الإشارة في خطبة الكتاب ومثل هذا التأويل مع بقاء التفسير على حاله غير بعيد وقد وردت إليه الإشارة في الرواية فتفطن.

«بمجدك الذي كلّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام».

المجد: العظمة والجلالة والشرف وهو كالشرف معنىً، فإن قيل: ما الوجه في تخصيص المجد بالكلام دون سائر الأوصاف الجملية، قلنا: هو التنويه والتنبيه على شرف الكلام لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ**﴾[2].

ولقوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿**ص وَالقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾[4].

أي ذي الشرف وبيان ذلك يحتاج إلى مقدّمة:

فنقول على وجه الإختصار: إعلم أنّ شرف الإنسان على أبناء جنسه وعلى غيره هو العلم به صار معلماً للملائكة واستحقّ السجود له، ثم إنّ شرف العلم بشرف معلومه، فالعلم الإلهي هو أشرف العلوم، لأنّ معلومه هو أشرف المعلومات، ونعني بذلك علم توحيد الذات خاصة ودونه في الشرف علم الأسماء والصفات وهو علم

---

(١) التحفة السنية، ص٨٤، مخطوط للسيد عبد الله الجزائري، شرح الأسماء الحسنى للسبزواري، ج١، ص٦٤.

(٢) سورة ق، الآية: ١.

(٣) سورة البروج، الآيتان: ٢١ـ ٢٢.

(٤) سورة ص، الآية: ١.

شريف وفيه علم بمناسبة الأسماء الإلهية لأفعالها كالشافي للمريض والمطعم للجائع والسميع للداعي وأمثالها وإنما ناسب المجد والمجيد بالكلام والتكليم تنبيهاً لجلال الكلام وعزّه حتى لا يتخيل فاتر الذهن وقاصر العقل على حصول مناسبة بين المكلِّم بكسر اللام والمكلَّم بفتحه. ألا ترى إلى ملوك الزمان يستنكف أحدهم أن يكلم من رعاياه أحداً، فما ظنّك بملك الملوك الذي أذعنت له السموات والأرض بالعبودية، فذلك هو السبب في تخصيص المجد بالكلام وإن تأملت في أمثاله من العظمة والعزة والقدرة والقوة وأمثالها لم تجد أنسب من المجد؛ لأنه أمر معنوي مفيد للجلال والجمال فتفطّن.

وأما تكليم الله سبحانه لكليمه فقد ورد في الروايات أنه كان يسمع الصوت من الشجرة محيطاً بجميع الجهات الست، بل من كل ذرة وهذا غير المعنى الذي ذكرناه في الكلمة أنها عبارة عن الإرادة لا غيرها، لأنّ كلمات الله ظهور إرادته بخلاف الكلام فإنه صوت يسمع بالحواس أو بجميع القِوى كما سنبيّنه إن شاء الله تعالى وإن كان يتحدث بحسب بعض الاعتبارات.

* * * *

الفصل الثاني

حياة السيّد القاضي

الولادة المباركة:

ولد السيد القاضي سنة ١٢٨٥هـ ـ ١٦٨٦م في مدينة تبريز الإيرانية وترعرع فيها وهو من عائلة متدرجة في الفضل والعلم.

والده السيد حسين القاضي، وقد تتلمذ على يديه في التفسير (تفسير الكشاف للزمشخري) ودرس المقدمات عند أهل الفضل تبريز، فدرس العلوم العربية (الصرف والنحو والبلاغة) عند الشاعر والأديب الميرزا محمد تقي التبريزي.

درس السطوح عند الميرزا موسى التبريزي (صاحب الحاشية على الرسائل).

يقول السيّد محمد حسن نجل السيّد القاضي: الذي وجدناه بخطّه الشّريف أنه ولد سنة ١٢٨٢هـ وهاجر إلى النجف سنة ١٣٠٨هـ.

ألقاب السيّد:

لقّب السيّد بـ «القاضي» وعُرف بـ «آية الله العظمى آغا القاضي» وأيضاً معروف بـ «السيّد القاضي».

حياته الاجتماعية:

كان السيّد متزوجاً من أكثر من امرأة وله أولاد كثيرون، وكان وضعه المادي معدوماً، ومع ذلك لم يبدُ عليه القلق، ولم تأخذ الحاجة الماديّة حيّزاً من همّه وتفكيره، وكان همّه العبادة وكان يقول: «الأفضل لي أن أبقى فقيراً لأنّ في ذلك تتحسّن حالتي الروحيّة والمعنوية».

هجرته إلى النجف الأشرف:

في العام ١٣١٣هـ هاجر إلى النجف الأشرف وحضر درس كلّ من: الفاضل الشربياني ـ الشيخ محمد حسن النائيني، وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد كاظم الخراساني (صاحب الكفاية) والميرزا محمد خليلي.

عاش أغلب حياته في النجف الأشرف، وكان أستاذاً في الأخلاق والسّير والسلوك، تتلمذ على يديه العديد من الأعاظم من العلماء والمراجع، ومنهم محمد البهاري وأحمد الكربلائي، والسيّد هاشم الحداد والشيخ محمد تقي بهجت وغيرهم.

عمل بالتدريس في الحوزة العلمية في النجف وبقي في النجف حتى آخر حياته.

دروس الأخلاق وتهذيب النفس:

ينقل السيّد محمد حسين الحسيني الطهراني عن الشيخ عبّاس هاتف القوجاني، عن آية الله السيّد علي القاضي أنّ أستاذه الأوّل في السير والسلوك هو والده السيّد حسين القاضي، وهو تلميذ إمام قلي نخجواني الذي هو تلميذ السيّد قريش القزويني، واستمرّ ذلك إلى سنة ١٣١٣ هـ وهي السنة التي هاجر فيها إلى النجف الأشرف، وبعد هجرته بسنة إلى النجف.

وصحب علَمين من أعلام النجف، الأوّل: آية الله السيّد أحمد الكربلائي الطهراني، والثاني: آية الله السيّد مرتضى الكشميري، ولكنّ ذلك لم يكن على نحو التتلمذ بل مصاحبة ومصادقة. كما ينقل الشيخ القوجاني.

كان السيد علي القاضي يرتضي طريقة عرفان وتوحيد السيد أحمد الكربلائي ودستوراته التي كان يرويها وتتطابق مع منهج أستاذه الآخوند ملا حسين قلي همداني، وكان يعلمها لتلامذته أيضاً.

وكان يرى أنّ السيد مرتضى الكشميري لم يصل إلى مقام توحيد الحقّ والعرفان المحض للذات الأحدية، وأنّ أساتذه في السير والسلوك هو بالنحو التالي: السيّد علي القاضي، والذي تتلمذ على يد السيد أحمد الكربلائي، والذي تتلمذ على يد الشيخ حسين قلي الهمداني، والذي تتلمذ على يد السيد علي الشوشتري، وكخلاصة فإنّ السيد علي القاضي أخذ العرفان عن سلسلتين من الأساتذة واحدة تبدأ بوالده، والأخرى تبدأ بالسيد أحمد الكربلائي.

عبادته وأخلاقه:

في عبادته، كان السيد القاضي يتخفّى عن الأعين إلّا في أداء الفرائض التي كان يأتي بها جماعة مع صفوة تلاميذه البالغين من السبعة إلى عشرة أشخاص في منزله أو في إحدى غرف المدارس الدينية. أمّا أعماله العبادية الأخرى فقد كانت له غرفة في مسجد الكوفة يتعبد فيها، أو يذهب إلى مسجد السهلة، وكانت له علاقة شديدة بهذين المسجدين، كما كانت له غرفة صغيرة في مدرسة قوام يتعبّد فيها بعد الساعة الثانية عشر ليلاً حينما تهدأ العيون ويغط الطلبة السّاكنون في النوم، فيبدأ السيد القاضي مناجاته ودعاءه وأذكاره وصلواته بصوتٍ جميل.

يقول العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: كانت هناك أيّام يختفي فيها السيد عن الأنظار، ولم تكن عائلته تعلم بمحلّ إقامته، ومهما بحثوا عنه في كلّ مكان ممكن أن يتواجد فيه فلا يجدونه أبداً، حتى يأتيَ فجأة ويزاول نشاطه التوجيهي والإرشادي بنحو طبيعي.

وكان برنامجه في شهر رمضان في العشرة الأولى والثانية هو إقامة مجالس التعليم والإرشاد لتلاميذه بعد أربع ساعات من الغروب، ويستمرّ هذا المجلس لمدة ساعتين، ثم يتفرّغ للعبادة إلى الصباح، وأما في العشرة الثالثة فإنّه كان يختفي عن

الأنظار، ويتفرغ للعبادة في مكان لا يعلم به إلّا الله، وقد استمر على هذا البرنامج إلى حين وفاته.

كان يتجنّب الحضور في الإجتماعات العامّة، وكان كثير الصمت، يحيي ليله بالتهجد والعبادة ونهاره بالتفكير والمطالعة، وكان يزور المرقد المرقد العلوي الشريف كلّ يوم بعد الساعة الثانية ظهراً، حيث يذهب الناس إلى بيوتهم بسبب الحر الشديد ويبقى الحرم الشريف خالياً إلّا من عدد قليل من الزوار. وكان معروفاً بسجداته الطويلة.

يقول السيّد عبد الكريم الكشميري: كنت أزور أستاذنا السيّد القاضي في داره بين الفينة والأخرى فأجده ساجداً، فأنتظر طويلاً لعلّه يرفع رأسه من السجود ولكن دون جدوى، فأخرج من الدار وهو لا يزال ساجداً.

ومن المعروف عن السيّد أيضاً أنه كان يواظب على قراءة السورة التي تبدأ بـ (سبّح) قبل النوم، وهي خمسة: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة والتغابن. ويواظب أيضا على زيارة مقبرة وادي السلام يومياً بين الطلوعين وزيارته تستغرق ساعتين إلى أربع ساعات حيث يجلس في زاوية البيت بصمت. وبعض الأحيان بصحبة تلامذته الذين سرعان ما يتملّكهم الضجر من صمته المحيّر فيتركوه ويذهبون.

كان السيّد القاضي صاحب خلق رفيع قد هذّب نفسه تهذيباً كاملاً من رذائل الأخلاق كالغرور والتكبر وحب الرئاسة والمدح وحب الدنيا. وتحلّى بالصفات الحميدة كالتواضع والتذلل للمؤمنين وحبّ الفقراء والضعفاء والمساكين ومساعدتهم والكرم والشجاعة والرضا والقناعة.....

وبالجملة فقد كان إنسانا قد تحرّر من شهواته الحيوانية وصار موجوداً ملكوتياً يعاين عالم الملكوت وتنكشف له حقائق الوقائع والأحداث ويرى حقيقة

الأشخاص. وكان يشتري حاجيّاته بنفسه ويحملها إلى داره، ويختار الخضار والفواكه التي لا يرغب فيها أحد ويحملها بطرف ردائه ويجتاز بها إلى داره، وعندما يُسأل لماذا تشتري ما يذهب به الآخرون فيقول: إنّ البائع الفلاني فقير، وقد اشترى الناس منه الخضار والفاكهة الجيدة، وبقيت هذه لا مشتري لها وأنا أعلم أنه سيرميها قبيل الظهر في المزبلة، وأودّ مساعدته من غير أن يذهب ماء وجهه أو يتعلم تناول الصدقة من الناس ويترك الكسب الحلال.

يقول الشيخ العارف الملايري: كان والدي صديق السيّد القاضي في النجف وملازماً له، وعندما توفي والدي ذهبت إلى النجف الأشرف فجاءني السيد القاضي وقال: إنّ والدك كان صديقاً لي وكان أحدنا يحمل غذاءه للآخر ويغسل ثيابه، ولا زال هذا الحق باقٍ في ذمتي، وما دمت في النجف فإني أهيئ لك طعام الغداء يومياً وآتيك به، وفعلاً كان يأتي بالطعام كلّ يوم ونتناوله سوياً ويأخذ ثيابي لغسلها في داره ثم يأتيني بها نظيفة.

يقول السيّد الكشميري: كان السيّد القاضي كلّه مكاشفة، وقد صار في آخر عمره لطيفاً ورقيقاً جداً لدرجة أنه بمجرد أن يرى الماء يتذكر مصيبة عطش الإمام الحسين عليه السلام ويشرع في البكاء. ولقد وصل السيد القاضي إثر هذه المجاهدات والرياضات العبادية إلى درجة الفناء في الله عزوجل فلم يكن يحسّ ويهتم بما يجري حوله مهما كان ذلك عظيماً وخطيراً في نظر الناس.

مكاشفة السيّد الخوئي:

ما نقله السيّد الخوئي عمّا حصل معه والسيّد القاضي فيقول(قده): جمعني الشّيخ محمد تقي بهجت أحد تلامذة السيّد القاضي مع أستاذه بسبب نقاش دار بيننا في مسألة علميّة وأنجر إلى عقد اللقاء في صحن أبي الفضل العباس في كربلاء،

واستغرق اللّقاء ساعة ونصف، ثم بعد ذلك توطّدت العلاقة بينهما، فطلب السيد الخوئي برنامجاً للعمل فأعطاه ذكراً يواظب عليه أربعون يوماً، يقول السيد الخوئي: بعد أربعين يوماً حصلت لي مكاشفة لحياتي المستقبلية إلى لحظات الموت، فرأيت نفسي على المنبر وأنا ادرس الفقه والأصول، ثم رأيتها جالسا في الدار والناس يترددون علي ويستفتوني في المسائل الشرعية ورأيت نفسي بعدها إماما لصلاة الجماعة، وحالات كثيرة مختلفة كمرآة أمامي حتى وصلت إلى مكان سمعت فيه صوتاً من أعلى المنارة يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، انتقل إلى جوار ربه الكريم آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي، ثم انتهت تلك المكاشفة ورجعت إلى وضعي العادي.

تناثر النجوم عند موته:

ما نقله المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي أنه سمع السيد الخوئي يقول: إنّ النّجوم قد تناثرت عند وفاة السيد علي القاضي. يقول السيد عبد العزيز: فقلت: إن النجوم لا تتناثر لموت أحد، فقال السيد الخوئي: إنّ هذا يقين عندي ولا يمكن أن أتنازل عنه لأني رأيت ذلك بأمّ عيني.

عاش السيّد القاضي مشغولاً برضا الله سبحانه وتعالى والقرب منه وكان واصلاً في العرفان إلى حدّ قول الله [عبدي أطعني تكن مثَلي تقل للشيء كن فيكون].

ولا يسعنا في هذا المقام ذكر الكرامات التي حصلت مع السيّد أو مع بعض من كان ملازماً بسبب السيّد نفسه.

يبقى أن نقول أنه ﷺ مرض في آخر حياته وتوفي في النجف الأشرف في سنة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م، ودفن في مقبرة وادي دار السلام.

آثاره:

له قصائد في كتاب (صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف)، وبعض الرّسائل التي كتبها إلى طلابه في السّير والسلوك العرفاني وتزكية النفس ونظم الشّعر بالعربية والفارسيّة.

وصايا العلاّمة القاضي:

قال العلَّامة السيّد محمد حسين الطهراني: كنتُ جالساً أحد الأيّام في الحرم المطهّر للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام خلف جهة الرأس الشريف بعد إتمامي الصّلاة وأداء ركعتي صلاة الزيارة، حيث كان جالساً إلى جانبي سماحة حجّة الإسلام العّلامة اللاهيجاني الأنصاري دامت بركاته. فتطرّق الحديث في ذلك المكان المقدّس إلى ذكر الفقيه الإسلاميّ والعارف الجليل المرحوم الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي، وباعتبار أنّ العلّامة اللاهيجاني كان يتردّد في النجف الأشرف على محضر سماحته، فقد نقل عنه عدّة أقوال تستحقّ العناية والتأمّل. من بينها أنّ ذلك المرحوم كان يقول: لا تصلِّ دائماً في مسجد واحد، واذهب إلى المساجد الأُخرى أيضاً. وحيثما وجدتَ فيضاً معنويّاً فصلِّ هناك. أمّا إذا لم يحصل لديك توجّه في مكان ما، فغيّر ذلك المكان وانتقل إلى مسجد آخر. والخلاصة فإنّ التوقّف في مكان واحد أمرٌ لا داعي له، وينبغي على المرء أن يبحث باستمرار عن حالة معنوية أفضل للتوجّه، وعليه الإنتقال في طلبها من مكان إلى آخر، وصولاً إلى إختيار الموضع الّذي يحصل فيه على توجّه والتفات أفضل. (وكان يقول): إن لم تحصل على مرادك في مسجد الكوفة فاذهب إلى مسجد السَّهلة، وإن لم تحصل على مرادك في مسجد السّهلة فاذهب إلى مسجد الكوفة وهكذا.

وكان من ضمن أقواله إنّ على الإنسان أن لا ييأس أبداً، وأن لا يكفّ عن

السير والسلوك إن تأخّر وصوله إلى النتيجة. فقد يحفر المرء الأرض بظفره ثمّ ينبع تحت أصابعه فجأة ماء زلال فوّار كمثل عنق البعير.

ومِن بينها قوله: «**مَن كانَ هَمُّهُ اللهُ كَفاهُ اللهُ في جميع هُمُومِهِ**».

ومِن بينها أنّي سألته يوماً (والكلام للعلّامة اللاهيجاني) عن الذكر الّذي أردّده في مواقع الإضطرار والإبتلاء وعند تعسّر الأمور، سواءً فيما يتعلّق بالأُمُور الدنيويّة أو الأُمُورِ الأُخرويّة. فأجاب: صَلِّ على محمّد وآله خمس مرّات ثمّ اقرأ آية الكرسي مرّة، ثمّ أكثِر في قرارة نفسك من قول **اَللّهُمَّ اجْعَلني في دِرعِكَ الحَصينةِ التي تَجعَلُ فيها مَنْ تَشاءُ حتّى يتيسَّر الأمر**.(١)

تعال، تعال إلينا ولا تخف:

يقول السيّد حسن المصطفوي التبريزي: جئت إلى النجف الأشرف للإلتقاء بالسيّد القاضي والإستفادة منه ولكنّي عندما وصلت إليها خشيت من زيارته لمّا رأيت الأجواء العامة في الحوزة العلمية ضدّ السيّد القاضي ولمّا سمعت بعض طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف يسلقونه بألسنةٍ حداد. وفي يوم كنت جالساً إلى جانب الباب المقابل للسّوق الكبير للمرقد الطّاهر لأمير المؤمنين(عليه السلام). فكنت أرى كلّ من يدخل ويخرج من باب القبلة والسلطاني، وكنت مستغرقاً في أفكاري وأسائل نفسي لماذا جئت إلى النجف وأنّي ما أتيت إلّا للإلتقاء بالسيّد القاضي والآن أنا خائف من زيارته وفي هذه الأثناء رأيت سيّداً جليلاً خرج من الحرم الطّاهر ثمّ أحاط ببدنه شيئاً من نور حتى سطع النّور من جهاته الستّ، فعشقت هذا السيّد وتوجّهت إليه بمجامع قلبي، ثمّ رأيته ذهب من باب الحرم السّلطاني وجلس عند قبر الملّا فتح علي سلطان آبادي وفي هذه اللحظة رأيت ذلك السيّد النوراني أسرَّ إلى

---

(١) معرفة المعاد، ٧/ ١٧٨.

أحد الّذين معه شيئاً، فقام ذلك الشخص واتّجه نحوي وعندما وصل لي قال: يقول لك السيّد: «يا مَن اسمهُ حَسَن وَسَريرته حَسَنَة وشكله حَسَن وشغله حَسَن، لماذا تخاف؟ تعال، تعال إلينا ولا تخف! وبعد هذا ذهبتُ لزيارة السيّد علي القاضي». (١)

ويقول آية الله الحسيني الهمداني: «أقيم مجلس الفاتحة بعد وفاة السيّد القاضي ثلاثة أيّام متوالية في النجف وحضره كبار العلماء وعلى رأسهم السيّد الخوئي والسيّد مهدي الشيرازي والشيخ حسين القمي. ويقول السيّد أبو القاسم الخوئي: زارني بعد انتهاء المجلس لضيف من العلماء فسألني الشيخ حسين القمي: يقولون إنّ لك علاقة مع السيّد القاضي. فأجبته: إنّ كثيراً من العلماء لهم علائق معه. فقال: كيف كان المرحوم القاضي في نظركم ؟ فقلت: من أي جهة تقصدون؟ فقال: من جهة منزلته المعنويّة. فقلت له: تقصدون ما هو مقامه العرفاني والشّهودي ؟ فقال: نعم. فقلت له: إذا كان ما رأيناه من المرحوم آية الله القاضي له حقيقة عند الله فهو سماء وأنت أرض وإذا لم يكن حقيقة فالعكس. فقال الشيخ حسين القمي - وهو في غاية الدهشة والإستغراب ـ: عجيبٌ!». (٢)

مَشاهد عجيبةٌ:

يقول آية الله السيّد محمد الحسيني الهمداني: كنت قد سمعت من والدي الشيء الكثير عن السيّد القاضي قبل أن أتعرّف عليه، وكنت في سنة ١٣٤٧ أو ١٣٤٨ هـ ق، في مدرسة القوام في النجف عندما جاء السيّد القاضي وطلب من المتصدّي لسكنى الطلّاب في المدرسة أن يُهيئ له غرفة للسكن، فاستجاب لطلبه وأعطاه غرفة صغيرة في الطابق العلوي وعلمنا بعد ذلك أنّه كان يريد هذه الغرفة مكاناً للخلوة من أجل التهجّد والعبادة، إذ أنّ بيته الصغير لا يسع عائلته الكبيرة. وعندما كان

---

(١) «الدّعاء والتوسّل» للسيّد علي أصغر دستغيب، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) «مجلّة الحوزة»، العدد ٣٠، ص ٤٨.

جميع الطلّاب ينامون زهاء الساعة الثانية عشر ليلاً كان السيّد القاضي يبدأ إحياء الليل بالتهجّد والعبادة، ومن هنا بدأ حبّي له.

فكان دعاؤه ومناجاته في تلك الغرفة الصغيرة جميلاً وجذّاباً وكان عندما ينهض أثناء الليل ويمرّ من الممرّ الوسط للوضوء، كان يخلع نعليه ويسير بهدوء لئلّا يطّلع عليه أحد، وكنت أسترق السمع إلى لذيذ مناجاته ودعائه حتّى الصباح. وكان دعاؤه ومناجاته في تلك الحجرة الصغيرة لذيذاً وجذّاباً جدّاً. وبعد مضي عدّة أشهر طلبت منه درساً أخلاقياً في كتاب «جامع السعادات» للنّراقي ﷺ، فقبِل ذلك وبدأ بالدّرس فعلاً في أوقات فراغي وكان درساً عرفانياً حقيقة، يتيقّن فيه السامع بما يقوله الأستاذ ويجد لكلامه طريقاً إلى نفسه.

ثمّ مرَّت بي على إثر ذلك حالات عجيبة بحيث صار السيّد القاضي كلّ ذكري ووردي وأهملت بقيّة دروسي وذهلتُ عنها وأضحى درسه موضع اهتمامي الوحيد، وكنت عندما أجلس بين يديه ويبدأ الحديث كنت أنسى كلّ دروسي وأذوب فيه ولا أفكر طوال النّهار بغير كلامه وعندما يستيقظ السيّد أثناء اللّيل للتهجّد والعبادة كنت أبقى مستيقظاً حتّى الصباح أنصت إلى لذيذ دعائه ومناجاته وشيئاً فشيئاً طرأت تغيرّات على صحّتي بسبب ترك النّوم في اللّيل، ولم أعد أعتني بدروسي.

فتنبه بعض أصدقائي لحالي، ومنهم السيّد يوسف الحكيم الّذي كانت تربطني به علاقة وثيقة. وذات يوم ذهبت إلى آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني ـ المعروف بـ «الكمباني» ـ وكنت أكنّ له احتراماً كبيراً، وقلت له: إنّ السيّد القاضي قد سكن غرفة في مدرستنا. فانتبه إلى قولي وفهم المسألة وقال لي: إنّه لمن المبكر جدّاً أن تذهب إلى درس السيّد القاضي، وإنّك لست رجل هذا الميدان بعد، وهو رجل عظيم ويحتاج إلى زميل وقرين عظيم مثله، ومن الأفضل أن تترك درسه، ويكفي حضورك المجالس الأخلاقية الّتي تُعقد في كلّ أسبوع في بيت السيّد عبد الغفّار.

فتركتُ درس السيد القاضي. وإنّي لأحسّ إلى الآن بحلاوة ولذّة تلك المدّة القصيرة الّتي قضيتها في درس السيّد القاضي».[1]

العبقري في المعنوية:

يقول آية الله السيّد محمد الحسيني الهمداني: كان السيّد القاضي بحراً موّاجاً في العلم والأخلاق والعرفان وكان أكثر أوقاته صامتاً ولا يتكلّم إلّا قليلاً جداً وكان من عادته أن يبدأ الآخرين بالسّلام وكان يكره أن يلفت انتباه النّاس إلى وجوده ولذا كان يبتعد عن أماكن ازدحام النّاس والتجمعات العامّة وربّما تمضي فترة طويلة لا يراه أحدٌ. وكانت تمرّ الأيّام لا يراه أحد وكان يتهجّد في الليل ويقضي نهاره بالمطالعة أو التفكير. وكانت غالب زياراته لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام في الساعة الثانية بعد الظهر، حيث كان يلتجأ النّاس في تلك الساعات في النجف إلى السراديب من شدّة الحرّ وكان يتعمّد في اختيار هذا الوقت لئلّا يطّلع عليه أحد ولهذا السبب لم يكن يراه أحد، لا في الحرم ولا في مكان آخر إلّا نادراً وكان السيّد القاضي في رأيي العبقريّ في المعرفة وحالات المعنويّة.[2]

تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعالي:

يقول العلّامة سيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله: «وقد حصل للمرحوم القاضي حادثة أخرى حضرتها وشاهدتها بأمّ عيني وبيانها كالآتي: كان لأحد أصدقاء المرحوم القاضي حجرة في مدرسة الهنديّ البخارائيّ المعروفة في النجف الأشرف وكان قد سافر وأوكل حجرته إلى المرحوم القاضي ليستفيد منها في الجلوس والنوم وسائر احتياجاته.

---

(١) «مجلّة الحوزة»، العدد ٣٠، ص ٤٤.

(٢) «مجلّة الحوزة»، العدد ٣٠.

وكان المرحوم القاضي يأتي إلى تلك الغرفة نهاراً أقرب الغروب، كما كان رفقاؤه يأتون كذلك فيقيمون صلاة الجماعة. وكان مجموع التلامذة يتراوح بين سبعة إلى عشرة أشخاص، ثم يجلس المرحوم القاضي إلى ما بعد ساعتين من الليل وكانت المذاكرات تقام، فيطرح التلامذة أسئلتهم ويستفيدون منه.

وحصل أن كنّا في أحد الأيام جالسين في الحجرة وكان المرحوم القاضي جالساً أيضاً. فشرع بالكلام عن التوحيد الأفعالي بحرارة وكان منهمكاً بالحديث عن التوحيد الأفعالي وبيانه بصورة موجهة لإثباته. حين بدا أن السقف قد انهار وكان في أحد طرفي الغرفة مدخنة للمدفأة، فبدأ من هناك صوت كمثل القرقعة، ثم حصل انهيار مع جلبة وصخب وتصاعد الغبار فملأ فضاء الحجرة، فنهض التلامذة والسادة الحاضرون بأجمعهم وأنا معهم واتجهت نحو باب الحجرة فرأيت التلامذة مزدحمين بأجمعهم وكلّ منهم يدفع الآخر إلى الوراء من أجل أن يخرج من الغرفة.

ثمّ اتضح في تلك الحال أنّ الأمر ليس كذلك وأنّ السقف لم يتهدّم فعدنا وجلسنا بأجمعنا كلاً في مكانه. أما المرحوم السيد (القاضي) فظلّ جالساً في موضعه دون أن يتحرّك قيد أنملة ولم تصدر منه أدنى حركة مع أنّ ذلك التصدّع قد بدأ من فوق رأسه.

وعندما جلسنا قال: تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعاليّ!! نعم، كان جميع التلامذة مرتبكين لا يحيرون جواباً. وهكذا جلسنا مدّة، حتى أنهى بياناته الّتي تفضّل بها حول التوحيد الأفعالي.

أجل، لقد إمتحنّا في ذلك اليوم بالدّرس الذي كنا نتعلّمه.

وفيما بعد علمنا أنّ هذه المدرسة كانت متّصلة بمدرسة أخرى بحيث إنّ حجرات هذه المدرسة تقابل حجرات المدرسة الأخرى ولا يفصلها عن بعض إلّا حائط واحد. وكان سقف الحجرة المقابلة لحجرتنا قد تصدّع وانهدم ولأنّ السقفين كانا متّصلين عن طريق مدخنة المدفأة، لهذا سمعنا هذا الصوت وامتلأت الحجرة

بذلك الغبار الكثيف، أجل، هكذا مررنا في الامتحان»[1].

تلاوة القرآن بشرائط خاصة

ذكر آية الله الشيخ محمد تقي الآملي رحمه الله: «كنتُ أحضر مباحثة الفقه عند السيّد القاضي واتّفق أن سألته يوماً ـ وكان الجوّ بارداً ـ نقرأ ونسمع عن الآخرين أنّهم حين قراءة القرآن الكريم تتفتح أمامهم الآفاق وتتجلّى لهم الغيوب والأسرار ونحن نقرأ ولا أثر ولا أيّ شيء؟! فنظر في وجهي قليلاً، ثمّ قال: نعم، إنّهم يتلون القرآن الكريم وبشرائط خاصة: يقفون على أرجلهم باتّجاه القبلة، حاسري الرأس، رافعين كلام الله بكلتا يديهم ومتوجّهين بكلّ وجودهم إلى ما يتولون وأمام من! أمّا أنت تقرأ القرآن وقد دخلتَ تحت الكرسي إلى ذقنك ووضعتَ القرآن على الأرض تنظر فيه.... كذا؟!

قال الشيخ: نعم، كنتُ هكذا أقرأ وأكثر من القراءة، فكأنّه قدس سره كان معي يراقبني وقت القراءة، ومنذ ذلك اليوم إنصرفت بكلّ وجودي نحوه والتزمت مجلسه».[2]

أين القاضي؟

سأل العلّامة سيد محمد حسين الطهراني عن العلّامة الطباطبائي رحمه الله: هل كان المرحوم القاضي رضوان الله عليه يذكر هذه المقولات التوحيدية في مجالسه لأحدٍ من تلامذته وإخوانه الخواص؟

لقد كان المرحوم القاضي رجلاً حقاً كالطّود الشامخ وكان حيوياً، له سعة واسعة وذكاء خارقٌ ولكنّ بعض تلامذته الّذين كانوا يتردّدون عليه بعد اثنتي عشرة

(١) الشمس الساطعة، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) «صفحات من تاريخ الأعلام»، ص١ / ٢٤٥.

سنة من المراودة والدراسة لا يعلمون شيئاً عن التوحيد حتى بقوا في عوالم الكثـرات ولا أدري هل كان يداريهم ويسايرهم إلى أن رحل آية الحق هذا عن الدّنيا؟!

ولكنّ بعض التلامذة على عكس ذلك، كـانوا يتـزوّدون بـسرعة مـن المعـارف الإلهية والمعرفة بالأسماء والصفات وتوحيد ذات الحقّ.

قال العلّامة الطباطبائي: أجل، كان المرحوم القاضي يذكر تلك الأمور لـبعض طلابه الذين يمكن الإعتماد عليهم إلى حدّ ما وبالفعل فإنّه كان رجلاً عجيباً يتصرّف مع كلّ واحد من تلامذته حسب استعدادته وحالاته.

وصية القاضي للطباطبائي كانت تهذيب النَّفس:

ينقل آية الله الشيخ إبراهيم الأميني عـن أسـتاذه العلّامـة الـسيّد محمـد حـسين الطباطبائي عن لقائه الأوّل مع السيّد القاضي قائلاً: عندما قدمتُ النجـف الأشرف لدراسة العلوم الدينيّة لم أكن أعرف شيئاً عن وضع النجـف، ولا أدري أيـن أذهـب وماذا أعمل، وكنتُ أفكّر أثناء طريقي من تبريـز إلى النجـف مـاذا أدرسُ وعـلى أيّ أستاذ أتتلمذ وأيّ طريق أختار ليكون مرضيّاً عند الله سبحانه.

وحينما دخلت النجف ولاحت لي قبّة المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وقفتُ في مقابلها وخاطبتُه قائلاً: يا عـلي، إنّي جئـتُ إلى هنـا لإكـمال دراسـة العلـوم الدينيـة، ولكنّي لا [1] ...

إنّ كلّ ما لدينا فهو من المرحوم القاضي

يقول آية الله الشيخ جعفر السبحاني: «كان المرحوم الحاج الميرزا علي القـاضي.. في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك ـ في الحوزة العلميـة ـ النجـف، فريـد

(١) راجع أسوة العرفاء أو الشمس الساطعة.

عصره ووحيد دهره وبيمن تربيته استطاع جمع كثير أن يدخلوا في دائرة التكامل وأن يصبحوا من سكان دار الخلد ومحارم حريم القرب ومن جملة تلامذته أستاذنا المرحوم الفقيه العلّامة الطباطبائي كان يقول: إنّ كل ما لدينا فهو من المرحوم القاضي، سواء ما أخذناه في حياته أو المنهج الذي خلّفه لنا وسرنا على هداه»[1].

عليك بصلاة الليل

كان العلّامة الأُستاذ [الطباطبائي] يقول: عندما تشرّفتُ بالذّهاب إلى النجف الأشرف للدراسة، كنت من حين لآخر أزور المرحوم القاضي للقرابة والرَّحِميّة الموجودة بيننا، حتّى جاء ذلك اليوم الّذي كنت فيه واقفاً على باب المدرسة والتقيت به عابراً، فلما وصل إليّ وضع يده على كتفي وقال: «**يا بني! إذا كنت تريد الدنيا فعليك بصلاة الليل؛ وإذا كنت تريد الآخرة فعليك بصلاة الليل!**».

و لقد أثّر فيَّ هذا الكلام إلى الدّرجة الّتي جعلتني لا أترك محضره طوال خمس سنوات حتّى رجوعي إلى إيران؛ ولم أفرّط بلحظة واحدة استطعت فيها أن استفيدُ من فيضه. وقد تأصّرت علاقاتنا منذ رجوعي إلى الوطن حتّى رحيله، وكان يلقي عَلَيّ تعاليمه وإرشاداته كأُستاذ مع تلميذه، وكنّا نراسل بعضنا البعض.[2]

نصيحة آية الله المجدّد الشيرازي للسيّد حسين القاضي

قال آية الله الشيخ حسن حسن زاده الآملي ـ نقلاً عن العلامة الطباطبائي رحمه الله ـ: استفاد المرحوم القاضي من الأساتذة الكثير ومن ـ ذكر عدّة منهم ـ حتى يقول: والده هو المرحوم الحاج الميرزا حسين القاضي وله تفسير في سورة الفاتحة وسورة الأنعام وأنا رأيت الكتابين لكنّ لا أدري الآن في تملك من؟ ويقول العلّامة

(١) ذكرى العلّامة الطباطبائي، ص٦٢، الشفق، قم.

(٢) الشمس الساطعة، ص ٢٤.

الطباطبائي أيضاً: كان الحاج الميرزا حسين القاضي من تلامذة المرحوم المجدّد آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي، وأنّ المرحوم السيّد الميرزا حسين القاضي كان عندما همّ بالرجوع من سامراء إلى تبريز ـ مسقط رأسه في آذربيجان ـ حضر عند المرحوم الميرزا الشيرازي فأوصاه وقدّم له نصيحة قائلاً: اجعل نفسك في كلّ يوم ساعة واحدة!

وبعد أيام سأل آية الله الشيرازي من أفراد أخرى عن أحوال السيد حسين القاضي، فقالوا: إنّ تلك الساعة التي نصحته بها قد سيطرت على جميع أوقاته وهو لا يترك مناجاة ربّه في الليل والنهار، وكان دائماً في المراقبة والحضور والعزلة!

يقول آية الله الشيخ مرتضى الحائري رحمه الله: حدّثني المرحوم السيد محمد حسن الشيرازي حفيد الميرزا الشيرازي الكبير قال: كان السيد حسين القاضي من تلامذة السيد الميرزا في النجف الأشرف قبل هجرته إلى سامراء، وكان أهالي تبريز يطلبونه بإلحاح للإرشاد في بلدهم وعندما قرر الاستجابة لهم جاء إلى أستاذه السيّد الشيرازي قائلاً:؛ لقد مضى زمن التعليم وأريد الآن قانوناً لتكميل النفس وتهذيبها فقال السيد الشيرازي الكبير رحمه الله: خصص وقتاً كل ليلة للتفكير فيما جرى في يومك الماضي فكر في النّعم الإلهية التي وهبك الله إياها فاشكره عليها وفي البلايا التي دفعها عنك بلطفه ورحمته وفي الذنوب التي ارتكبتها فتب منها واستغفر الله سبحانه حتى تستطيع بالإستمرار إن شاء الله تحقيق الارتباط به سبحانه وتكون ناظراً في أعمالك إلى قدرته وقيمومته وإحاطته وليس عندي أفضل من هذا العمل.

يقول [محدّثي] إن السيد القاضي واظب على العمل بنصيحة السيد لعدة سنوات ثم أرسل إليه رسالة يقول فيها: إن بركة نصيحتكم لا زالت في فكري.

[يقول المؤلف] حدّثني السيد حسين القاضي حفيد السيّد القاضي المذكور ـ

وكان من خيار السادة وزهادهم ومن أصدقائنا الأعزاء: إن السيّد الجدّ كان يخمن حاجات الناس ويستكشف ما في ضمائرهم ويتمتع بروحانيّة عالية ولم نكن نعرف المنبع الذي كان يستقي منه مع أنّه ظاهراً لم يكن ذا مسؤولية في الروحانية[1].

يقول العلامة الطهراني رحمه الله: لقد كان أستاذنا العلّامة الطباطبائي يحمل في قلبه عشقاً شديداً لأستاذه، وحقاً كان يرى نفسه صغيراً أمامه ويلمس في سماء المرحوم القاضي عالماً من العظمة والبهاء وأسرار التوحيد والملكات والمقامات.

إطلاق «الأستاذ» لائق له

كان المرحوم القاضي من أبناء أعمام العلّامة [الطباطبائي] حيث عمل في النجف الأشرف على تربية التلامذة الإلهيّين والصالحين والعاشقين للجمال الإلهيّ والمشتاقين للقاء وزيارة حضرة الأحديّة، حتّى صار في هذا الفنّ العالم الوحيد؛ وكان العلّامة يطلق لقب «الأُستاذ» عليه فقط، وعندما كان يقول «الأُستاذ» بدون قيد فهو يقصد المرحوم القاضي؛ وكأنّ جميع الأساتذة الآخرين يختفون أمام وجود ذلك المقام والعظمة العلميّة.

أمّا في المجالس العامّة، فإذا جاء الحديث عن أساتذته، فلم يكن يذكر اسم «القاضي» من شدّة الإحترام، ولم يكن يذكره إلى جانب البقيّة من الأساتذة، كما نلاحظ في المقالة الوجيزة التي كتبها عن حياته، ونشرت في مقدّمة مجموعة المقالات والرسائل الّتي طبعت تحت عنوان «دراسات إسلاميّة» فلم يذكر اسم المرحوم القاضي إلى جانب الأساتذة.[2]

(١) ... ص١٠٧، والدي آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري وقصص أخرى، ص٥٦.

(٢) الشمس الساطعة، ص ٢١.

كان القاضي يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدّعاء

يقول العلّامة الطهراني رحمه الله: «من جملة الأدعية التي تذكر في القنوت في الصلوات الواجبة والنوافل وأوّلها: «**اللهمَّ ارزقني حبَّك وحُبَّ ما تُحبُّهُ وحُبَّ من يحبّك والعمل الذي يبلغني إلى حبّك واجعل حبّك أحبَّ الأشياء إليّ**».

جاء كامل هذا الدعاء في بحر المعارف ص٣٠٩، حيث نسب جزء منه إلى الرسول صلى الله عليه وآله ونسب الجزء الآخر إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وورد قسم من الدعاء كذلك في المجموعة المطبوعة الصغيرة للحاج ملّا محمد جعفرو كبودر آهنكى، وكان آية عظماء الحق المرحوم الحاج ميرزا السيد على آقا القاضي ـ تغمّده الله برضوانه ـ يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدعاء في قنوت صلواتهم..»[1].

ابن العربي والمولوي من وجهة نظر المرحوم السيّد القاضي

لقد كان سماحة الحاج السيّد هاشم الحداد قدس سره يقول: كان للمرحوم السيد القاضي اهتمام كبير بمحيي الدين بن عربي وكتابه (الفتوحات الملكية) وكان يقول:

إنّ محيي الدين من الكاملين وهناك في فتوحاته شواهد وأدلة جمة على كونه من الشيعة وهناك مطالب كثيرة فيه تناقض الأصول المسلّمة لأهل السنّة.

لقد كتب محي الدين كتاب (الفتوحات) في مكة المكرّمة، ثم بسط جميع أوراقه على سقف الكعبة وتركها سنة لتمحى المطالب الباطلة منها ـ إن وجدت ـ بهطول الأمطار، فيتشخص الحقّ منها عن الباطل. وبعد سنة من هطول الأمطار المتعاقبة جمع تلك الأوراق المنشورة فشاهد أنّ كلمة واحدة منها لم تُمحَ ولم تغسل.

---

(١) معرفة الله، ١/ ٢٢٦.

كما كان يُعدّ المّلا الرومي أيضاً عارفاً رفيع المرتبة ويستشهد بأشعاره ويعتبره من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام.

وكان المرحوم القاضي يقول بأنّ: من المحال أن يصل امرؤ إلى مرحلة الكمال فلا تصبح حقيقة الولاية مشهودة لديه. وكان يقول:

إنّ الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولاية؛ الولاية والتوحيد هما حقيقة واحدة.

وعليه فإنّ العظماء المعروفين والمشهورين من عرفاء أهل السنّة، إمّا أنّهم كانوا يعملون بالتقيّة ويخفون تشيّعهم، أو أنّهم لم يصلوا إلى الكمال.

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يقول: كان للمرحوم القاضي كذلك دورة من « الفتوحات المكّيّة » باللغة التركيّة يطالعها وينظر فيها أحياناً.

وكان سماحة آية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ يقول: كنت أذهب يوميّاً قبل الظهر إلى محضر المرحوم القاضي لساعتين، وهو الوقت الذي يتشرّف فيه جميع تلامذته والمشغوفون به بالحضور عنده. وكنت في هذه السنوات الأخيرة أقرأ له كتاب «الفتوحات» فكان يستمع لي، فإذا ورد علينا شخص غريب فقد كنتُ أقطع قراءتي فيتكلّم المرحوم القاضي عن مواضيع أُخرى.

حافظ الشيرازيّ وابن الفارض من وجهة نظر المرحوم القاضي

ولقد كان المرحوم القاضي رحمة الله عليه يعتبر حافظ الشيرازيّ عارفاً كاملاً، ويفسّر أشعاره المختلفة على أنّها شرح منازل السلوك ومراحله، لكنّه كان يعتقد أنّ ابن الفارض تلميذ محيي الدين كان أكمل منه. وكان يذكر لهذا الأمر شواهد من «ديوان حافظ» ومن أشعار ابن الفارض في «نظم السلوك» (التائيّة الكبري). وكان يقول في جملتها:

يقول الحافظ في تمثيل وبيان أصالة عشق ومحبّة الله والوَلَه والتَّيمان به:

عـــشق تـــو در وجـــودم ومهـــر تـــودر دلم
بـا شـير انـدرون شـد وبـا جـان بـه در شـود[١]

ويبيّن ابن الفارض هذه المحبّة والعشق بهذا التعبير:

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَداً تَبْقَي وَإنْ يَلِيَ العَظْمُ[٢]

أي أنّ عشقي وسكري من شرابه كان قبل خلقي وإيجادي وسيبقي هكذا إلى الأبد ولو بليت عظامي ونخرت.

فلقد جعل حافظ بدء العشق مقترناً من بدء الخلقة الماديّة والطبيعيّة وقرن نهايته بالموت الطبيعيّ، لكن ابن الفارض يعتبر بدايته قبل الخلقة بآلاف السنين وهو باق ومستمرّ إلى النهاية بعد الخلقة[٣].

وحقّاً فقد ضمّن ابن الفارض في هذه النكتة الواردة في هذا البيت معنى التجرّد عن الزمان والمكان للنفس الآدميّة، وعدّ لها الأبديّة والأزليّة في سير مدارج النزول والصعود، بينما لم يبلغ شعر حافظ هذه الذروة.

يقول ابن الفارض فيالبيت اللاحق:

عَلَيكَ بِهَا صِرْفاً وَإنْ شِئْتَ مَزْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ

والظَّلْم بالظاء المفتوحة هو الريق وماء الفم، فيكون معنى البيت:

---

(١) «ديوان حافظ» تصحيح الدكتور رشيد عيوضي والدكتور أكبر بهروز، ص ٢٣٥، طبعة انتشارات أمير كبير، سنة ١٣٦٣.

(٢) «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٣، السطر ٣٥، القصيدة الميميّة، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٢ هـ. ق.

(٣) الخلقة: بكسر الخاء ـ الإيجاد أي خلق خلق الله الصالح، أما بفتح الخاء ـ الذي يبلى ويفنى.

عليك بذات المحبوبة ونفسها (وعدم التنازل عنها إلى غيرها) وإن شئتَ أحياناً التنازل عن ذاتها ونفسها فأردت مزج تلك الذات الصرفة والنفس المجرّدة النورانيّة بشيء آخر، فلا تتعدّ ريقها ورحيقها وامزجه بذات المحبوبة؛ ولا تلتفت إلى شيء آخر غير رحيق فمها، لأنّ ذلك ظلم، بل هو الظلم الأوحد.

كان يقول المرحوم القاضي: المراد من «ظَلْم الحَبيب» آل محمّد عليهم السلام، لأنّ في هذا البيت دعوة إلى التوحيد المحض والإستغراق في الذات الأحديّة وعدم التنازل عنها بأي شيء آخر يمكن فرضه وتصوّره.

أمّا آل محمّد عليهم السلام في هذا التعبير العرفانيّ الراقي والكناية السلوكيّة البديعة، فهم بمنزلة ظَلم الحبيب، أي ريق الحبيب الذي هو أعذب وألذّ من أيّ شيء آخر، وأكثر بعثاً على الطمأنينة والراحة، وبغضّ النظر عن نفس الحبيب؛ فليس هناك شيء آخر بحلاوته.

ومن ثمّ ففي مقام الكثرة والتنزّل عن تلك الوحدة الحقيقيّة، فاعدلْ فقط إلى آل محمّد عليهم السلام وامزجهم معها، فليس في أيّة من نشأة عالم الوجود من الملك والملكوت بمثابتهم موجود يبعث على الطمأنينة، ولا كمثلهم شيء في سعة الولاية وشمول الآيتيّة والاقربيّة من الذات الأحديّة.

إنّ إرتضاع شفاه الحبيب وارتشاف رحيق فمه هو ـ بلحاظ القرب والفناء والإندكاك في وجود ذات الحبيب ونفسه ـ من أشدّ الأشياء وأكثرها إظهاراً للإتّحاد بنفس الحبيب، وأكثرها حكاية عن نفس الحبيب عند مزجها بشيء آخر. ولقد جعل آل محمّد عليهم السلام في هذا التشبيه والإستعارة البديعة العرفانيّة، متّحدين ومتوحّدين مع الذات الأحديّة والفناء والاندكاك في ذات مَا لا اسْمَ لَهُ وَلا رَسْمَ لهُ بالشكل الذي لا يتصوّر أقرب منه.

وعليه، فإنّ ظَلم الحبيب اللازم في مقام البقاء بعد الفناء، والضروريّ للسالك لن يكون شيئاً غير عترة خاتم الأنبياء وغير آل محمّد عليهم السلام.

والشاهد على هذا المدّعى ما يقوله هذا العارف الجليل في يائيّته:

ذَهَبَ العُمْرُ ضَيَاعاً وَانْقَضَى ... بَاطِلاً إذْ لَمْ أَفُزْ مِنْكُمْ بِشَي

غَيْرَ مَا أُولِيتُ مِنْ عِقْدِي وَلا ... عِتْرَةِ المَبْعُوثِ حَقّاً مِنْ قُصَي (١)

أي أنّ حاصل قضاء عمر في السير والسلوك إلى الله هو الوصول إلى ولاية العترة الطاهرة وعقد الولاء لهم الّذي وُهِبَ لي وأُوليتُه ففزت بذلك ونلت مناي.

ويستفاد من ذلك **أوّلاً**: أنّ السير والسلوك الصحيح المنزَّه عن الغشّ والخالص من شوائب النفس الأمّارة، يوصل السالك آخر المطاف إلى العترة الطيّبة، ويمتّعه من أنوارهم الجماليّة والجلاليّة في مرحلة كشف الحجب. وإنّ ابن الفارض الذي كان من العامّة ومتّبعاً لمذهب السنّة بشكل مسلّم، حتّى أنّ كنيته واسمه هما أبو حفص عمر، قد إرتوى آخر الأمر والعمر من شراب مَعِين الولاية، وأنّه سعد واستفاض من رحيق فم محبوب الأزل.

وثانياً: وكما قال المرحوم القاضي قدس سره، فإنّ الوصول إلى مقام التوحيد والسير الصحيح إلى اللهِ وعرفان ذات أحديّته عَزَّ اسمه مُحال بدون ولاية أئمّة الشيعة

(١) «ديوان ابن الفارض» القصيدة اليائيّة الّتي مطلعها «سَائِقُ الأَظْعانِ يَطْوِي البِيْدَ طَي» ص ٢٥. وقد كتب العالم العزيز والمحقّق الجليل صديقنا القديم الحاج السيّد جلال الدين الآشتيانيّ دامت بركاته في مقدِّمة كتاب «مشارق الدّراري» لسعيد فرغاني، ص ١١: يعتقد ابن الفارض في هذا الأثر حسب نهج التحقيق والإختيار بأنّ جهة ولاية خاتم الأنبياء لا تنقطع النبوّة، لذا فهو يقول:

بِعِتْرَتِهِ اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّسُلِ الوَرَى ... وَأَوْلادِهِ الطَّاهِرِينَ الأَئِمَّةِ

وقد ورد في بعض النسخ المطبوعة والخطّيّة للتّائيّة عبارة «وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ»؛ وباعتبار أنّ بعض النسّاخ من أهل السنّة، فقد أبدلوا «أَوْلادِهِ» إلى «أَصْحَابِهِ».

والخلفاء الحقيقيّين: عليّ بن أبي طالب وأولاده من البتول العذراء عليها السلام. وهذا الأمر مشهود لابن الفارض، وقد ثبت وتحقّق لكثير من العرفاء الأجلّاء، كمحيي الدين ابن عربي، والملّا محمّد الروميّ، وفريد الدين العطّار النيسابوريّ وأمثالهم.

وحاصل الأمر إنّه بواسطة الارتباط الدقيق لمعاني «الفتوحات» مع أشعار ابن الفارض، وبالأخذ بنظر الاعتبار كون محيي الدّين بن عربيّ أُستاذ ابن الفارض المصريّ، وتناغم وانسجام أقوالهما في السير والسلوك بل تشابهها واتّحادها، وباعتبار أنّ نتيجة سلوك ابن الفارض كانت الوصول إلى ولاء أهل بيت العصمة، فإنّ هذه النتيجة والثمرة يمكن مشاهدتها في سلوك وسير محيي الدين أيضاً.

كان المرحوم القاضي يقول: قال محيي الدين يوماً لإبن الفارض: من الأفضل أن تكتبوا شرحاً لديوانكم!

فردّ ابن الفارض: أيّها الأُستاذ! إنّ فتوحاتكم المكّيّة هي شرح لديواني!

ينقل فخر العلماء والمفسِّرين ورأس أهل الرواية والمحدِّثين وعَلَم الحكماء والعارفين المرحوم المحقّق الفيض الكاشانيّ في كتابه «كلمات مكنونة» مطلباً عن محيي الدين يسطع ويتوهّج كالشمس إلى يوم القيامة ويشعّ متلألئاً إلى الأبد كخطوط منقوشة بالأنوار الملكوتيّة على طلعة الأُفق الزرقاء؛ يقول:

قالَ صَاحِبُ «الفُتُوحَاتِ» بَعْدَ ذِكْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، وَأَ نَّهُ أَوَّلُ ظاهِرٍ فِي الوُجُودِ؛ قَالَ:

وَأَقْرَبُ النَّاسِ إلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ، إمَامُ العَالَمِ وَسِرُّ الأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ.[1]

يقول المرحوم الحاجّ السيّد هاشم الحداد قدس سره: «... أنا فكدت أن أطير من الفرح

(١) «كلمات مكنونة» ص ١٨١، الطبعة الحجريّة؛ و«اليواقيت والجواهر» للشعرانيّ، ٢/ ٢٠، المبحث ٣٢، باختلاف يسير في اللفظ («الروح المجرّدة»، ص٣٤١).

بعد ماعرفتُ أن ضالّتي المنشودة قد اهتديتُ إليها وسأعيشُ في أكنافها وتحت دفء أجنحة لطفها ومودّتها، فبقيت مُدةً مع السيّد القاضي ودرست بعض الدروس الحوزويّة في الفقه الاستدلالي بالإضافة إلى التّوجيهات الّتي كنتُ أُتحَفُ بها من أستاذي، فكنّا بعدها معاً، ويأتي هو وقت العصر إلى غرفتي[1]، أعدُّ له الشاي فيشرب شاياً عندي، وهكذا إلى أن تغيّر وضع المدرسة بعد سنتين.

وبعد ذلك أشار عليَّ أُستاذي بالرجوع إلى كربلاء والمداومة على صَنعَتي، وهي الحدادة، فأطعتُ أوامره بالرجوع باللحظة الّتي أشار عليّ بذلك، رغمَ أن ذلك يَشُقُّ عليَّ كثيراً لشدّة تعلّقي بأُستاذي، حتّى أنّي كنت لاأقدُم على شيءٍ لايرغبه، فرجعتُ إلى كربلاء واستأجرتُ دكاناً بالقرب من خزّان الماء، وقمتُ أعمل بالحدادة، وكنتُ أُعدُّ اللحظات لحظة بعد لحظة إلى أن تأتي ليلة الجمعة لمشاهدة أُستاذي، حيث أنّه كان يأتي في أكثر ليالي الجمعة للزّيارة، وكنت أصطحبه وأذهب معه لأداء فريضتّي المغرب والعِشاء على سطح كشوانية رقم واحد في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام، وكنتُ أأْتمُّ به، وبعدَ الفريضتين يدير وجهه إليّ ويسألني عن أموري العامة والخاصة، فكان يسألني عن عائلتي وأطفالي وكسبي، وكذلك عن حالي في السّير والسلوك، وأنا كنت أشرح له ماعندي وأُعرّفهُ بكلّ مايسألهُ منّي صغيرةً أو كبيرةً، فإذا كانت لديَّ مكاشفة أو رُؤيا كنت أقُصُها له، أو بعض الخواطر كنت أستفسر منه أو سؤال تبادر إلى ذهني فأسألهُ، وحتّى عن أُموري المعاشيّة والزّوجه والأولاد، فكنت أُطلعه على ماعندي.

وقد كان عندي شريك اسمه محمد خضر وكان سُنيّاً إلاّ أنهُ يدّعي التشيُّع، وكان يحترم السيد القاضي، وكان يقول لي: في كل أسبوع أرجوك إسأل من السيد عليَّ هل يجوز سَبَّ أعداء أهل البيت أو لا ؟. فأقول له: أهذا الأمر يحتاج إلى

(١) وهي المشهورة بغرفة السيّد مهدي بحر العلوم الّذي يتشرّف بها بلقاء صاحب الزمان عجل الله فرجه.

السؤال؟. إنَّ هؤلاء معروفون فهم كذا وكذا، وعندما يأتي اليوم الثاني لمجئ المرحوم السيد القاضي يُعيد علي نفس السؤال، فأردَّ عليه نفس الرد، ولما أضحى النهار قلت لهُ: محمد! إنني صممت على الذهاب والسكنى بالنجف الأشرف وأُريد فسخ الشراكة، ولمّا كانت شطارتي مشهورة ونتاج عملي مايعادل سبعة حدادين، وكل واحد يرغب أن يشاركني، لذا فإنه أبى ذلك وأخذ يتشبث لإقناعي بالعدول عن تصميمي هذا، فقال: كل ماتريد أنا في خدمتك ماهو الذي أزعجك ؟. كل ذلك لإقناعي، فأبيت ذلك واطلعته على أن تصميمي قطعي، فلما تيقن من أنه لا جدوى من ممانعاته، قال: إني لاأملك مالاً أعطيكهُ، فتركت له الدكان وما فيه سوى ما أخذتُ من الشئ اليسير منه وانصرفت إلى النجف الأشرف، لأني علمت أن شراكتي معه تضرُّ بسلوكي، وليس من رأي أُستاذي البقاء في شراكتي معه، وبعدَ أيام رجعتُ إلى كربلاء وأستأجرت دكاناً في منطقة أُخرى لمزاولة صنعتي وهي الحدادة، ولكن لوحدي، وكنتُ أجدُّ وأجتهد في عملي خلف الكورة، لكي أجمع في الأسبوع درهماً وأذهب به إلى النجف لأعطيه لأُستاذي لعلمي بحاجته،، وكثيراً ما يصادف أن أُعطيه له عند باب منزله وأرجع، لكي لاأتأخر عن عملي، وفي إحدى المرات ذهبتُ إلى النجف وكنت آنذاك تعباً جداً، ولم يكن السيد في المنزل، فنمت عند باب داره، فإذا بالسيد يضع يدهُ على كتفي قائلاً بهدوء: ولدي! ولدي! فاستيقظت وسلّمت عليه، وبعد ما أعطيته الدرهم رجعت إلى كربلاء دون الدخول إلى داره[1].

زيارته للعراق

حين أراد الدخول إلى العراق لأوّل مرة منع ومعه جمع من ذويه، فلم يفقد

(١) «عارفٌ في الرّحاب القدسيّة»، ص٦٨.

الحيلة في الحصول على الإذن، أنشد قصيدة وأرسل إلى الأمير الأعظم ذي السيف والقلم: حسن علي خان الكروسى، يطلب منه الإذن لدخول بلاد الروم، وهو إذ ذاك صاحب ثغرهم ببلدة كرمانشاهان، وكان دخوله إلى العراق لأوّل مرة سنة ١٣٠٨هـ ق.

تسابقت الأفكار في مدح ماجد ... فقصر ذو السبق الذي هو بارع
ونبطئ في رقي المفاخر والعلى ... كلّ إليه مستعاد وراجع
وكيف يفي المدح الذكا بسنائه ... وأنت لنا فيه مديل ورافع
سبقت إلى مجد فأحسنت شربه ... لك الكلّ فيه ذو اقتداء وتابع
طمعت إلى الجلى ولا شك نائل ... يشمله مجد دونه المجد طامع
وفيك خصال حيّر اللّب دونها ... إذا اخضلّ ليل أنت كالشّمس طالع
ورأفة آباء وهيبة سائس ... لرق وأخلاق الملوك تقارع
لك القلم الملقاة من سيف أعزل ... وسيفك قوس الله في الأرض قاطع
وقل ثنائي فيك يا كهف أهله ... بذلك من أبواب فضلك قارع
فإن شئت فاطلب لي وصولاً إلى الحمى ... بجنب الغري فالدّموع هوامع
فإن منع الروم الدخول لأرضها ... فقد غلبت قدماً فكيف تدافع
ولا حاجة لي غير هذا وإنّ لي ... حفاظ عليّ عن مدح غيرك مانع

يقول السيّد محمد حسن القاضي: «هذا ومما يذكر بهذه المناسبة تمسّكه وتعشّقه بوطنه الجديد النجف الأشرف، أنه منذ أن دخل المدينة المقدسة لم يخرج منها إلّا لزيارة سائر العتبات المقدسة كربلاء والكاظمين وسامراء. وذهب مرة واحدة إلى زيارة مشهد الرضا عليه السلام حوالي سنة ١٣٣٠هـ ق.

رسالة من السيّد القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الرسول المبين وزيره الوصيّ الأمين وأبنائهما الخلفاء الراشدين والذريّة الطاهرين والخلف الصالح والماء المعين صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين.

تَنبَّه فَقد وافَتكمُ الأشهُرُ الحرُم ... تَيقظ لكي تَزدادَ في الزَّادِ وَاغتنمْ
فقُم في لياليها وَصُم من نهارها ... لِشكر إلهٍ تَم فِي لُطفه وَعَمْ
وَ لا تهجَعَن في اللَيل إلّا أقلَّهُ ... تَهَجّد وَكم صَبٍّ من اللَيل لَم يَنَمْ
وَرتِّل كتابَ الحَقِّ وَاقرأَهُ ماكثاً ... بِأَحسن صوتٍ نورُهُ يشرقُ الظلمْ
فَلم تحظَ بَل لَم يُحظَ قط بِمِثله ... وَأخطأَ مَن غيرَ الذي قُلتُهُ زَعمْ

قصيدة غديريّة

أنشد العلّامة المرحوم السيّد علي آقا القاضي هذه القصيدة الغديريّة وهو في الثالثة والسبعين من عمره الشريف سنة ١٣٥٦هـ. ق:

خُذْ يَا وَلِيُّ غَداةَ العِيدِ والطربِ   قَصيدةً هِيَ للأعداءِ كَالشُّهُبِ

قصيدةً ما ترى شِبْهاً لها أبداً   في شِعْرِ قَوْمِي وإنْ أمْعَنْتَ فِي الطَّلَبِ

شَاهَتْ وُجُوه الأولى ما الفضلُ عِنْدَهُم   إلاَّ تفاخُرُ دارِ اللهوِ واللعبِ

وليسَ هذا بِأنّي عَالِمٌ عَلَمٌ   بَلْ لاندراسِ رُسُوم العِلْم وَالأَدَبِ

تَعَلّمُوهُ لَهَا تَعَساً لَهم وأسىً   وَالعِلْمُ فِي نَفْسِهِ المَطْلُوبُ للأرِبِ

وآخرين جهاليلاً لها قَمَشُوا   سَمّوهُ عِلماً وهذا أعظمُ النكَبِ

والعِلْمُ تُحْيَي قُلُوبُ العَارِفِينَ بِهِ   وَليسَ يُسلبُ عَنْهُمُ سَاعَةَ السَّلْبِ

والعلمُ عِلمَانِ: عِلمٌ مِنْهُ مُكْتَسَبٌ   وأفضلُ العِلم مَا قَدْ جَاءَ بِالوَهَبِ

بَعدَ التعشُّقِ بالعِشْقِ الجَذوبِ لهُ   مع التهيُّؤِ أَزْمَاناً كمُرْتَقِبِ

خُذْ يَا وَلِيُّ فإنّي خائفٌ قَلِقٌ   مِنّي الكلامُ لأَهْلِ الشَّكِ وَالرِّيَبِ

إنّ العَوَالِمَ للرَّحمنِ وحدتها   لهَا اخْتلافٌ مُبِين الفَرقِ في الرُتَبِ

وكلُّ فَردٍ لهُ وَجْهٌ يَبِينُ بِهِ   يَمْتَازُ عَنْ غَيْرِهِ كَالخَطِّ في الكُتُبِ

وَهُوَ الكِتابُ الذي لا ريبَ فِيهِ كَمَا   لا ريبَ يَعرِضُ في قرآننا العَجَبِ

هُمَا كِتابانِ لا بَلْ وَاحدٌ أبداً   لا نُكرَ بَيْنَهُمَا فاقرأهما تُصِبِ

يَهْدِي إلى الرشدِ مِنْها كُلّما نزلت   للأنبياءِ مَدى الأَعْصَارِ والحِقَبِ

كصُحْفِ مُوسَى وَإبْرَاهِيم وَالولدِ الـ   مخلوق رُوحاً على جِسمٍ بغيرِ أبِ

ما أوتيَ الأنبيا مِنْ رَبّهم وكذا   ما جاء وَحياً ومَا يُدْرِيهِ كُلُّ نَبِي

وَكلُّ عِلمٍ فَفِي القُرآنِ أجْمَعُهُ   مُهيْمِنُ الكُتبِ في تبيانِهِ العَجَبِ

وكلّها فيه مَجْمُوعٌ بجُمْلَتِهِ   فِي سُورة الحمدِ سَبعٌ نُخبةُ النُّخَبِ

وكلّها قد حَوَتْهُ الحَمْدُ بَسْمَلَةٌ   قَدْ احتَوَتْهُ كَأُمِّ الأُمِّ فِي النَّسَبِ

والبا بها كلُّ ما فيها ونُقْطَتُها   تحوي الجميع فَسَبِّح فيه واقتَرِبِ

وَالبَا بِهـا ألـف في الـدرج إن سـقطت
تخـص بالــسِينِ فافْهَمْهَــا وَلا تَــرِبِ

وَالألفُ إنْ قُورِنَتْ مِنْها النِقـاطُ تَـرَى
فاتَتْ عن العَدِّ إن تُحْسَبْ لدى الحَسِبِ

فَهِــيَ الوِلايَــةُ فِــيهم قــائمٌ أَبَــداً
أكــرِم بِقَاعِــدِهِمْ فِيهــا ومُنْتَــصِبِ

يـا صَـاح دَعْ لرِمُــوزٍ أنْـتَ قَاصِـدُهَا
فالفَضْلُ فِي سَتْرِهَا مِنْ جَاهـلٍ وغَبِي

فَـــأَنْزَلَ اللهُ يَـــوْمَ الــــدَّوْحِ آيَتَـــهُ
مَنْجَاةَ خَلْقٍ مِنَ الأَوْصَـابِ وَالنَّـصَبِ

أظْهِـرْ مِـنَ البَـا هـذا الخَلْـقِ نُقْطَتَهـا
لِيَعْرِفُوهَــا كَــمَا هُــمْ يَعرِفُونَــكَ بِي

آيـاً بإيّــاكِ أَعْنــي واسْــمَعِي نَزَلَــتْ
فَـلا تَخَيَّـلْ لِخَـيْرِ الخَلْـقِ مِـنْ عَتَـبِ

بلِّـــغْ وَإلاَّ فَلَـــمْ تُبلـــغْ رِسَـــالَتَهُ
واللهُ عَاصِـمُهُ مِـنْ شَرِّ ذِي النَّـصبِ

فَهُيِّئَـــــتْ لِرَسُــــولِ اللهِ مَرْقَبَـــــةٌ
مِـنَ الحِجَـارَةِ وَالأَحْـدَاجِ وَالقَتَـبِ

وَقَـامَ سَـيِّدُ مَـنْ فِي الكَـوْنِ يَخْطِبُهُم
بِخُطْبَـةٍ هِـيَ حَقَّـاً أَحْـسَنُ الخُطَـبِ

فَقَـالَ مَـا قَـالَ فِي هَـذا وَأَسْـمَعَهُم
وَأَيُّ سَمْع تَـرَى للجَاهِـلِ الوَغِـبِ؟!

أَلَـسْتُ أَوْلَى بِكُـمْ مِـنْكُمْ لأَنْفُـسِكُم
قَالُوا: بَلَى، قَـالَ: هَـذَا الـسيِّدُ ابـنُ أَبِي

بَعْــدِي وَلِــيُكُمُ مَــا فِــيكُم أَحَــدٌ
كَمِثْلِـهِ فِي العُـلَى وَالفَـضْلِ والنَّـسَبِ

مَــنْ ذَا يُدَانِيــهِ فِي عِــزٍّ يُخَــصُّ بِــهِ
فَـضْلاً مِـنَ اللهِ أَعْطَـاهُ بِـلا طَلَـبِ

نَفْسُ الرَّسُولِ أَبُو السِّبْطَيْنِ بِضْعَتُهُ الـ
بَتُـولُ صِـنْوٌ لَـهُ فِي الـدِّينِ وَالحَـسَبِ

دَعْ يَـا وَلِيُّ فَـإِنَّ الأَمْـرَ أَظْهَـرُ مِـنْ
شَمْسِ الظَهِيرَةِ لَكِنْ أَعْجَبُ العَجَـبِ

إِذْ قَـامَ (شِـينٌ) إلى (سِـينٍ) فَبَخْبَخَـهُ
وَفي الحَـشَا النَّـارُ بَـلْ فِيـهِ أَبُـو لَهَـبِ

يَقُــولُ هَــذَا الــذِّي كَــانَ يَحْــذَرُهُ
يُحْبَـى عَـلِيٌّ عَلَـيْهِمُ مِثْـلُ ذَا اللقَـبِ

أَبِي أَبَـــى لِـــتُرَابِ قَبْـــلَ سَـــجْدَتِهِ
أَبَــا تُــرَابٍ كَــذَا أَعْبَــاهُ مِثْــلَ أَبِي

لكِنَّــهُ قَــدْ سَـهَى نـورَ الـسُّهَا أَتُـرَى
مِنْهُ أَوْ النُّـورُ مَوْهُـوبٌ لَـدَى الوَقِـبِ

فَكُــلُّ نُــورٍ مِــنَ الــدُّنْيَا وَظُلْمَتِهــا
قَـدْ بَـانَ بِـالنُّور لَـوْ يَـدْرُونَ بِالرُّتَـبِ

فَانْظُرْ إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى أَيُرَى
نُورُ الكَوَاكِبِ فِي الآفَـاقِ وَالـشُّهُبِ؟!

كَــمْ ذَا يُطَاوِلُــهُ وَالكُــلّ مِنْــهُ لَــهُ
بِــهِ يَقُــومُ إِذَا حَقَّقْــتَ فِي الطَّلَــبِ

لَخَّصْ أَخَافُ لِقَوْمي اليَوْمَ مِنْ مَلَـلِ
وَقَــلَّ قَلْــبُ رَزِيــنٍ لَـيْسَ بِاللَّغِــبِ

ولا يَسُؤْكَ الأُولَى فِي الدِّينِ قَـدْ دَغَلُـوا
مِـنْ بَعْـدِ إِيمَانِهِـم نكْـصاً عـلى عقِـبِ

بَــلْ لم يلِــجْ قــطُّ إيــمانٌ قلــوبَهُمُ
وَإِنّ شَـيَاطِينُهُمْ مِـنْهِمْ لَفـي النُّقَـبِ

هُــمُ لَنَــا غُــنْمٌ فَــاغْنَمْ عَــدَاوَتَهُم كَــمَا غَنِمْــتَ وَلاءَ الآلِ وَاحْتَــسِبِ
لَوْلا حَنَادِسُ هَذَا الليْلِ مَـا اتّـضَحَتْ نُورُ الدَّراري هُدَى المُظْلَمِّ في الـشُّعَبِ
أَهَـلْ أَسِـفْتَ لِقَـوْم خَـابَ سَـعْيُهمُ مِنْ شَرِّ صَحْبِ لِخَيْرِ الخَلْقِ مُصْطَحَبِ
إنّ الليَـالِي تُرِيـكَ الـشَّمْسَ ظَـاهِرَةً وَكُنْتَ في الـشَّكِ لَـوْ قُمْـتَ وَلَمْ تَغِـبِ
كَــادُوا الــوَّصِيَ فَــرَدَّ اللهُ كَيْــدَهُمُ عَلَى النُّحُـورِ وَمَـنْ كَـادَ الهـدى يَخِـبِ
إلاَّ قَليــلٌ أووا للكَهْــفِ حِــينَ رَأَوا مَنْ يَفْتَرِي الـشِّرْكَ للـرَّحْمنِ بِالكَـذِبِ
هُـمْ فِتْيـةٌ دُونَ أَهْـلِ الكَّهـفِ عِـدَّتُهُمْ يَـرَوْنَ كَهْفهُـمُ في الـصَّلبِ وَالـسَّلْبِ
جَـازَاهُمُ اللهُ خَـيرَ الخَـيْرِ إذْ نَـصَرُوا دِيــنَ الإلَــهِ وَإنّ القَّــوْم في النَّهــبِ
وثُــمَّ قَــوْمٌ إلى نَهْـجِ الهُـدَى رَجَعُـوا بَعْــدَ ارْتِــدَادٍ وَإنْ تَــابُوا لَــهُ يَتُــبِ
فَهُــوَ الــوَلِيُّ وَهَــذَا يَوْمُــهُ طَرَبــاً للمُــؤْمِنِينَ وَعيــدٌ غَــيْرَ مُعْتَقَــبِ
مَنْ طَـابَ مَوْلِـدُهُ فَـالعَيشُ طَـابَ لـه يَوْمَ الغَـدِيرِ وَمَـنْ يَخْبَثْ فَلَـمْ يَطِـبِ
لكِنَّــهُ أَيُّ عَــيْشٍ للــوَّصِيِّ وَقَــدْ يَـرَى الخِلافَـةَ غَـصْباً شَرَّ مُغْتَـصَبِ
وَأَيُّ عَـيْشٍ لَنـا وَالطُّهْـرُ في جَـزَعٍ تَرْثِـي أَبَاهَـا بِـصَوْتٍ بُـحَّ بِالنَحَـبِ
إنّـا فَقَـدْنَاكَ فَقْـدَ الأَرْضِ وَابِلِهـا وارْتَـدَّ قَوْمُـكَ فاشْـهدْ عَـلى نَكَـبِ
قَــدْ كَــانَ بَعْــدَكَ أَنْبَــاءٌ وَهَنْبَثَــةٌ لَوْ كُنْـتَ شَـاهِدَهَا لَمْ نُلـقَ في الخُطُـبِ
أو أَنْ يَقُــومَ بِــأَمْرِ اللهِ قَائِمُــهُ يُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنْ شِرْكٍ وَمِـنْ نَـصَبِ
يَا صَاحِبَ الـدَّارِ أَنْـتَ المُرْتَجَى أَبَـداً وأَنْــتَ أَدْرَى بِــمَا فِيهَــا وَلَمْ تَغِــبِ
يَا صَاحِبَ الدَّارِ أَنجِـحْ حَـاجَ مُمْتَـدِحٍ بِـالعَجزِ مُعْـتَرِفٍ وَالجَهـلِ مُكْتَسِبِ
بِالــذلّ مُقْــتَرِبٍ بِالقِــلِّ مُنْتَــسبِ للفَـضْلِ مُرْتَقِـبٍ بِالبَـابِ مُنْتَـصِبِ
فَالعِلْمُ وَالكَشْفُ وَالإيقَان قَدْ ظَهرَتْ مِــنَ المُنَبَــأ مِــنْ أَنْبَائِــهِ الحُجُــبِ

المراجع

- القرآن الكريم.
- أسوة العرفاء.
- إعانة الطالب.
- الإحتجاج.
- الاقتصاد.
- التحفة السنية.
- الحبل المتين.
- الدعاء والتوسل.
- الروح المجرد.
- الشمس الساطعة.
- الفتوحات المكيّة.
- المحاسن للبرقي.
- الموقع الإلكتروني لمؤتمر تكريم الفقيه المتألّه آية الله السيد علي القاضي.
- الميزان في تفسير القرآن.
- آيات الحق.
- بحار الأنوار
- تفسير الصافي.
- توحيد الصدوق.
- دلائل الإمامة.
- ديوان ابن الفارض.
- ديوان الحافظ الشيرازي.
- رسالة لب اللّباب في سير وسلوك أولي الألباب.
- سنن البيهقي.
- سنن النبي.
- شرح إحقاق الحقّ.
- شرح دعاء الجوشن الكبير الاحتجاج.
- شرح مفاتيح الجنان.
- صفحات من تاريخ الأعلام في النجف الأشرف.
- عارف في الرحاب القدسيّة.
- عيون أخبار الرضا.
- غاية المرام.
- كلمات مكنونة.
- مجلّة الحوزة.
- مستدرك الوسائل.
- مطلع أنوار.
- معرفة الله.
- معرفة المعاد.
- من لا يحضره الفقيه.
- موقع المثقفين، موقع يعنى بنشر آثار الوفاء.

الفهرس

المقدمة.. ٥

دُعاءُ السّماتِ ٦

مقدّمة المؤلف.. ١٢

الفصل الأول: شرح دعاء السّمات.. ١٤

الفصل الثاني: حياة السيّد القاضي ٣١

الولادة المباركة: ٣١

ألقاب السيّد:... ٣١

حياته الاجتماعية:.. ٣١

هجرته إلى النجف الأشرف: ٣٢

دروس الأخلاق وتهذيب النفس:.. ٣٢

عبادته وأخلاقه:... ٣٣

مكاشفة السيّد الخوئي: ٣٥

تناثر النجوم عند موته:... ٣٦

آثاره:... ٣٧

وصايا العلاّمة القاضي:... ٣٧

تعال، تعال إلينا ولا تخف:.. ٣٨

مَشاهد عجيبةٌ: ٣٩

العبقري في المعنوية:... ٤١

تعالوا يا موحّدي التوحيد الأفعالي: ٤١

تلاوة القرآن بشرائط خاصة... ٤٣

أين القاضي؟ ٤٣

وصية القاضي للطباطبائي كانت تهذيب النّفس:.. ٤٤

إنّ كلّ ما لدينا فهو من المرحوم القاضي.. ٤٤

عليك بصلاة الليل.. ٤٥
نصيحة آية الله المجدّد الشيرازي للسيّد حسين القاضي ٤٥
إطلاق «الأستاذ» لائق له ٤٧
كان القاضي يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدّعاء.................................. ٤٨
ابن العربي والمولوي من وجهة نظر المرحوم السيّد القاضي ٤٨
حافظ الشيرازيّ وابن الفارض من وجهة نظر المرحوم القاضي..................... ٤٩
زيارته للعراق ٥٥
رسالة من السيّد القاضي ٥٧
قصيدة غديريّة.. ٥٨
المراجع ٦١
الفهرس ٦٣

رسالة
السيد القاضي
شرح دعاء السّمات

يقول آية الله الشيخ بهجت قدس سره:

رأيت استاذي السيد علي القاضي (اسوة العارفين) في عالم الرؤيا قلت له: "ما هو الشيء الذي تحسرت عليه انك لم تفعله في الدنيا؟
فأجاب: اتحسر لماذا كنت في الدنيا اقرأ زيارة عاشوراء مرة واحدة في اليوم ..."

الهي، ان كان في عمري بقية، فارزقني زيارة الامام الحسين عليه السلام.

مؤسسة العروة الوثقى

الرويس -المعمورة ، شارع خديجة همدر
هاتف : ٠٠٩٦١٣٦٠٦٨٢٩ سجل تجاري :٤٩٣٨٤
E-mail:aamkob.96@gmail.com